

المجالس الخاصة لبعض خلفاء العصر العباسي الثاني

د. سلوى عبد الخالق على أحمد يوسف *

ملخص

كان للخليفة العباسي مجلسان مجلس رسمي، أما المجلس الخاص - وهو موضوع البحث - فقد كان فيه الخليفة أكثر قرباً وألفة بجلسائه، فكان منهم رجال الدولة من وزراء وكتاب وقادة وكثيراً ما كان الخليفة يقرب اليه العلماء والادباء والشعراء والندماء، وكان يحضر مجلس الخليفة بعض النساء ممن ذاع صيتهن من الجوارى والملحنات.

وبدلاً من توجيه الأموال إلى مرافق الشعب وحاجاته أو إعداد الجيوش، نرى بعض هؤلاء العباسيين ينفقون الأموال في وجوه السفه واللهو والملذات.

والإسراف في المجالس الخاصة كان إهداراً لبيت المال ويضاف الى ذلك قلة موارد الدولة، كل ذلك أدى إلى وجود تباين في الدخل، فقل عدد أصحاب الدخل الكبيرة نتيجة مصادرة أموالهم لسد نفقات الدولة.

وقد ضاعت الخلافة، حتى إن الخليفة في ذلك العصر لم يعد قادراً على تصريف الأمور.

ولو عقدت مقارنة بين خلفاء العصر العباسي الأول وخلفاء العصر العباسي الثاني لوجدنا اختلافاً كبيراً؛ كان للخلافة في العصر العباسي الأول مكانة عالية وهيبة أخضعت الممالك وأذلت العروش، ولكن سرعان ما بدأ الضعف والتدهور في العصر العباسي الثاني؛ إذ تولى الخلفاء الذين انغمسوا في ملذاتهم واهملوا أحوال الرعية.

* كلية التربية - جامعة المنصورة.

Private "Chambers" of some Abbasid caliphs in the Second Abbasid Period

Abstract

Feature points that, Abbasid Caliph has two chambers, ceremonial chamber and property chamber for the property chamber, the Caliph was a more approaching and familiarity with his men, that some of them were people as ministers, scribes and commanders, and always circles, literary and poets were approach from him, that ...Some women from famous bondwomen and wide composers.

Appositive from direction money to associate of public and their needs or preparation army we see that some of such Abbasid Calips from Abas Family was spend money for their distraction and pleasure.

From another side, luxury in property chambers was brawl for public money house with decrease in nation resource that it serve to finding inequality in incomings...that making decreasing for count of owner of large incoming effect to attachment their money to plug nation costs.

Waste prestige of caliphate in that time, not able to inflection command that was purpose avidity in him.

So, If we compare between first Abbasid period and second Abbasid period we will find a big difference, that there was a high place and prestige that deterioration be started in second Abbasid period where Caliphs hold who overflow in their pleasure and eliminated patron's condition.

أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم بدين قويم، بشيراً ونذيراً، فقام بما حُمِّلَ، وبلغ رسالة ربه كما أمر ليستضيء العالم بنور الإسلام، وما أرفعها درجة تلك التي اختصت بها أمة الإسلام، وما أعظمها مكانة تلك التي ينالها الذين يتبعون الرسول النبي الأمي، ووسطية الإسلام تتجلى في نهى الحق سبحانه وتعالى عن الغلو والإفراط، والتفريط، والإسراف.

وقد جاءت آية الفرقان مؤكدة هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾⁽¹⁾.

وما أحوج المسلمين في أيامنا هذه إلى أن يتبعوا النهج الذي رسمته الآيات في المعاني الجامعة الشاملة لنظم حياتهم وضبط حركتهم وحفظ حوزتهم، وإغناء فقيرهم وإعزاز ذليلهم، وتقوية ضعيفهم، وجمع شملهم، وبسط نفوذهم، وإحياء مجدهم، وحمل الناس على دينهم وإرضاء ربهم.

ويسعى هذا البحث إلى رصد صورة من المجالس الخاصة لبعض خلفاء بني العباس في العصر العباسي الثاني، وذكر ما فيها من صور الإسراف والتبذير والبذخ الشديد.

وسوف يتم تتبع ذلك في عهد خمسة خلفاء هم:

1- الخليفة المتوكل على الله (232-247 هـ/847-861 م)

2- الخليفة المعتضد بالله (279-289 هـ/892-902 م)

3- الخليفة المكتفى بالله (289-295 هـ/902-908 م)

4- الخليفة المقتر بالله (295-320 هـ/908-932 م)

5- الخليفة الراضى بالله (322-329 هـ/934-940 م)

وإنى لأرجو أن يكون هذا البحث على وجازته إسهاماً علمياً يلقي الأضواء على المجالس الخاصة لبعض الخلفاء في العصر العباسي الثاني ويوضح مدى الإسراف والبذخ فيها.

مجالس الخلفاء

كان للخليفة العباسي مجلسان، مجلس خاص ومجلس رسمي. وكان مجلسه الرسمي يجلس على سرير الخلافة في نهاية إيوان رحب به أثنى الرياش وأجمل

الزينات، وكان يحجب الخليفة عن الحاضرين ستر كان أحياناً يرفعه فيبدو الخليفة أمام الحضور بهيئة تبعث على الاحترام والخشوع. وكان ينتظم هذا المجلس الرسمي كثير من المراسم والتقاليد التي تؤكد من رفعة الخلافة وجلالها؛ مثل مراسم الدخول على الخليفة، والتحية، والكلام، والجلوس، والانصراف.

أما فى المجالس الخاصة وهى موضوع البحث، فكان الخليفة يبدو أكثر قرباً وألفة بجلسائه الذين كانوا يختلفون من حيث الوظيفة ومدى الصلة، فكان منهم رجال الدولة من وزراء وكتاب وقادة وأعيان، وكثيراً ما كان الخليفة يقرب إليه العلماء، والأدباء، والشعراء، والندماء، كما كان يستمع إلى المغنين والموسيقيين والقصاص. وجرت العادة أن يجزل الخليفة العطاء للمجيبين منهم والمقربين إليه. ولم تكن المجالس مقصورة على القاعات والأواوين بل أحياناً كانت تُعقد فى البساتين والسفن حيث كان يستمتع الخلفاء والمقربون إليهم بالمنادمة واللهو فى نهر دجلة. وقد الأعيان من الشعب خلفاءهم فى الأخذ بأسباب المتعة واللهو، فكان للوزراء والقواد ورجال الدولة مجالس للترفيه والتسلية واللهو عمرت بمظاهر الأبهة والثراء⁽²⁾.

مجلس الخاصة للخليفة المتوكل على الله⁽³⁾

كان يتكون من مجموعة من المقربين من الخليفة وكان يحدث فيه بعض التجاوزات الخارقة للعادة منها ما ذكر على لسان ابن حمدون⁽⁴⁾ أشهر ندماء المتوكل فى أحد مجالس المتوكل الخاصة، ذاك أن الخليفة اشتهى أن يجعل كل ما تقع عليه عينه فى يوم من أيام شربه أصفر، وأمر بذلك فنصب له قبة مذهبة، ومفروشات صفراء، وشراب أصفر فى صوانى الذهب، ولم يحضر من جواريه إلا الصفرة، عليهن ثياب قصب أصفر، وخلط مياه البركة بزعفران حتى اصفرت، وعندما نفذ الزعفران استعملوا العصف (صبغ أصفر اللون)، وقدرت تكاليف ما لزم ذلك اليوم من الثياب والزعفران ما يساوى خمسين ألف دينار⁽⁵⁾.

ومن مظاهر الإسراف أن الخليفة المتوكل أعطى الشاعر الحسين بن الضحاك صديق أبى نواس أربعة آلاف دينار مقابل أربعة أبيات قالها يصف فيها كرمه⁽⁶⁾. وقيل إن المتوكل قال ذات يوم لأبى العيناء وكان ضريراً: أى شىء فقدته بذهاب بصرك؟ فقال: فقدت كل شىء لحرمانى من رؤيتك يا أمير المؤمنين. فاستحسن جوابه وأمده بعشرين ألف درهم⁽⁷⁾.

وكان المتوكل يختار ندماءه من رجال لهم مميزات خاصة، كأن يكون شاعراً حاذقاً فى المدح أو منجماً أو راقصاً أو مغنياً، ومن ندمائه محمد بن عمر البازيار الشاعر الذى كان يدعو للمتوكل فيقول: "أبقى الله أمير المؤمنين إلى يوم القيامة وبعد"⁽⁸⁾. القيامة بشىء كثير.

ومن ندمائه أيضاً رجل يسمى عبادة المخنث، كان يحضر مجلسه للرقص والغناء في مجالسه، وكان يطلب منه أن يتعرض في غنائهِ لخصومه من العلويين ويندد بهم، ولم يسلم الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد تعرض لأشد الهجاء وأعنفه، فكان عبادة يشد على بطنه شيئاً تحت ثيابه (مخدة) ويكشف رأسه الأصلع ويدخل وهو يرقص ويقول: "قد جاءكم الأصلع البطين على خليفة المسلمين"، والمتوكل يضحك، وفعل ذلك يوماً في حضور المنتصر بن المتوكل فقال لأبيه إن علياً ابن عمك ولحمك ودمك فلا تدع هذا المخنث يأكل لحمه فضحك المتوكل وقال للمغنين غنوا: "غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في حرامه"⁽⁹⁾.

وذلك لأن المتوكل كان يعاب عليه بغضه لعلي بن أبي طالب وذريته، حتى إنه أمر بهدم قبر الحسين السبط وأهل بيته فهدمت كلها وفي ذلك يقول الشاعر:

تالله⁽¹⁰⁾ إن كانت أمية قد أنت قتلت ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتشاه بنو أبيه بمثلته هذا لعمرى قبره مهودوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله، فنتبعوه رميما

وقتل على ذلك يعقوب بن إسحق المعروف بابن السكيت الإمام في العربية؛ إذ ندبه المتوكل لتعليم أولاده، ونظر يوماً المتوكل إلى ولديه المعتز⁽¹¹⁾ والمؤيد⁽¹²⁾، وقال لابن السكيت من أحب إليك: هما أو الحسن والحسين؟ فقال قنبر (يعني مولى علي بن أبي طالب) خير منك ومن ولدك، فأمر المتوكل الأتراك فداسوا بطنه حتى مات، وقيل أمر بسلّ لسانه فمات من ساعته وأرسل إلى ابنه ديته، وكان يعقوب رافضياً⁽¹³⁾.

وكان مما وشى به الواشون من العلويين للمتوكل، أبو الحسن على الهادي من أحفاد علي بن أبي طالب، وكان يقيم في المدينة المنورة، فأمر باستقدمه إلى سامراء والإقامة فيها، لكن السعائيات لم تنقطع؛ إذ قيل له إن عنده كتباً وسلاحاً، فأمر بمهاجمة منزله ليلاً، فوجدوه منفرداً يصلي ويترنم بآيات من القرآن، ووجدوا المنزل خالياً من كل ما بلغ الخليفة فحمل، إليه في جوف الليل، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جانبه، وكان في مجلس شرابه وعرض عليه الكأس، فقال يا أمير المؤمنين ما خاسر لحمي ودمي قط أعفني، فأعفاه، وقال له أنشدني شعراً، فقال إني لقليل الرواية للشعر، فقال لا بد من ذلك⁽¹⁴⁾.

وبعد أن أنشده بكى المتوكل في مجلسه، وأمر برفع الشراب، ولما تبين له كذب الوشاية وصله بأربعة آلاف دينار يقضى بها دينه وأعادته إلى منزله مكرماً⁽¹⁵⁾.

وكان يحضر مجلس المتوكل كذلك بعض النساء من الجوارى، ومن هؤلاء فضل⁽¹⁶⁾ الشاعرة اليمانية التي كانت تجلس في مجلسه على كرسي تعارض

الشعراء بحضرته، فألقى عليها أبودلف القاسم بن عيسى العجلي بعض أبيات من الشعر منها:

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم .: أشهى المطى إلى ما لم يُركب
كم بين حبة لؤلؤ متقوبة .: لبست حبة لؤلؤ لم تُنقب

فقال فضل محببة:

إن المطية لا يلد ركبها .: حتى تذلل بالزمام وتُركب
والحب ليس بنافع أربابه .: حتى يؤلف بالنظام ويُنقب⁽¹⁷⁾

ومن الجوارى المغنيات محبوبة، كانت حسنة الوجه والغناء، أهداها عبيد الله بن طاهر إلى المتوكل لما ولى الخلافة فى جملة أربعمائة جارية⁽¹⁸⁾.

وكانت محبوبة ممن يحضر مجلس الخليفة المتوكل الذى أعطاه يوماً تفاعحة، وكان يشرب والشعراء بين يديه فقبلتها، وفعلت ذلك احتراماً لمهديها، وانصرفت عن مجلسه، ثم خرجت جارية لها ومعها رقعة رفعتها إلى المتوكل فقرأها وضحك⁽¹⁹⁾.

وتسجل الأحداث مبالغة الخليفة المتوكل فى الإسراف، فمن مظاهر ذلك قيامه بتشيد مدينة الجعفرية، وإيقافه على ذلك من ميزانية الدولة أكثر من مليونى دينار، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل بنى بها قصر اللؤلؤة، وأطلق عليه اسم الخاصة المتوكلية⁽²⁰⁾. ونستدل من الاسم على أن القصر كان مخصصاً لانعقاد مجالس الخليفة الخاصة، وكان يوم افتتاح المدينة من الأيام المشهودة، فقد جمع الخليفة القراء والمغنيين وأصحاب الملاهى، وأنفق على حفل الافتتاح مليونى درهم⁽²¹⁾.

ومن مظاهر الإسراف أيضاً ما يسجله التتوخى على لسان على بن يحيى المنجم أحد أبرز ندماء المتوكل⁽²²⁾ عن عدد الخدم والفراشين الذين استخدمهم المتوكل فى قصره، وهو عدد لا يصدق العقل إلا بصعوبة⁽²³⁾، ومن المؤكد أن تؤدي هذه التصرفات إلى حدوث أزمة مالية، فبدلاً من توجيه هذه الأموال إلى مرافق الشعب وحاجاته أو إلى إعداد الجيوش، نراها تنفق فى وجوه السفه؛ وهو مما أدى إلى هبوط قيمة العملة فى عهده⁽²⁴⁾.

وعلى الرغم من الأموال التى أنفقت، فإن مدينة الجعفرية التى بناها المتوكل لم يكتب لها البقاء طويلاً، فقد خربت بعد مقتله بأسبوع فقط⁽²⁵⁾.

أما عن نهاية المتوكل فقد كانت غريبة، لكننا يمكننا القول بأنها توافقت مع غرابة تصرفاته، فقد قُتل فى مجلس شرابه، قُتل مماليكه الأتراك باتفاق مع ابنه المنتصر بالله⁽²⁶⁾، وقتل معه وزيره ونديمه الفتح بن خاقان⁽²⁷⁾، وذلك فى قصره

المعروف بالجعفرى (الخاصة المتوكلية). ويذكر ابن الحفص المغنى نديمه أن المتوكل شرب أربعة عشر رطلاً من الخمر، فلما دخل عليه الغلمان ليقتلوه، لم يكن فى حالة تجعله يدرك ما حوله، فلم يتمكن من الدفاع عن نفسه، ولم يتمكن من استدعاء الخدم على كثرتهم⁽²⁸⁾.

ويذكر السيوطى أن المتوكل كان له أربعة آلاف سرية تفرق بعد موته، فصار إلى وصيف عدة منهن فيهن محبوبية. وأصبح يوماً وأمر بإحضار جوارى المتوكل فأحضرن وعليهن الثياب الفاخرة الملونة والحلى وقد تزين وتعطرن سوى محبوبية فإنها جاءت مرهءاً⁽²⁹⁾ متسلبة⁽³⁰⁾، عليها ثياب بياض غير فاخرة، فغنى الجوارى وطربن وشربن، وطرب وصيف، ثم قال لمحبوبة: غنى فأخذت العود وغنت وهى تبكى⁽³¹⁾ فاشتد ذلك على وصيف، وهم بقتلها، فاستوهبها منه بغاً، وكان حاضراً، فوهبه إياه وأعتقها، وأمرها أن تقيم حيث أحببت، فخرجت إلى بغداد فأقامت بها حتى موتها⁽³²⁾.

ازداد فى المدة التى تلت مقتل المتوكل إلى تولية المعتضد (279-289 هـ/ 892-902م) نفوذ الأتراك، وسيطروا على الحكم، حتى إن بقاء أى خليفة فى الحكم كان مرهوناً بإرادتهم، فمات المنتصر بعد ستة أشهر من مقتل أبيه المتوكل، وخلع الأتراك المستعين (248-252 هـ/ 862-866م) ثم قتلوه، وكذلك فعلوا بالمعتز (252-255 هـ/ 866-869م)، ولم يسلم الخليفة المهندي منهم فقتلوه هو الآخر، على الرغم من أنه أمر بتحريم القيان والخمر، وكان صواماً قواماً، وكان من أحسن الخلفاء سيرة وأظهرهم ورعاً وأكثرهم عبادة، وكان يتشبه بعمر بن عبد العزيز ويقول: "إنى أستحي أن يكون فى بنى أمية مثله، ولا يكون مثله فى بنى العباس"، وكان يجلس للمظالم. أما الخليفة المعتمد فكان كالمحجور⁽³³⁾ عليه، ولا أمر ينفذ له ولا نهى، فقد كانت السلطة الحقيقية فى يد أخيه أبى أحمد طلحة الموفق، فهو رجل الدولة الحازم، الذى جمع الأمور كلها فى يده. وبرغم أن الأمور كلها تُدار باسم الخليفة المعتمد، ويستخدم منصبه للتأثير الروحى إذا لزم الأمر، كما حدث فى القتال الذى وقع بين الخلافة ويعقوب بن الليث الصفار، وذلك للتأثير فى جنود الصفار بأنهم يقاثلون الخليفة صاحب السلطان الشرعى؛ وهو الأمر الذى يجعل من الصفار، خارجاً على الخلافة فى نظر رجاله. وأدى ذلك بالفعل إلى تخاذل كثير من جنود الصفار عنه، وانتصرت الخلافة بقيادة الموفق⁽³⁴⁾، فى الوقت الذى انشغل المعتمد فى اللهو والملاذات، واشتغل عن الرعية. وكان شغوفاً بالطرب والغناء والموسيقى⁽³⁵⁾، ومن ذلك أنه أمر بشراء مغنية حسنة الغناء اسمها نبت بثلاثين ألف درهم، وهذا مظهر من مظاهر الإسراف الذى اشتهر به الخلفاء فى العصر العباسي الثاني.

مجلس الخاصة للخليفة المعتضد بالله⁽³⁶⁾

اختلفت مجالس الخليفة المعتضد عن مثيلاتها أيام الخليفة المتوكل؛ إذ لم تشغله مجالسة الخاصة عن متابعة أمور الدولة وتدبير شئون الرعية، وكان لا يسأم البحث فى أدق الأمور والتعرض لأبسط القضايا التى تشغل العامة، فاستعادت الخلافة فى عهده ما فقدت من العزة والمهابة. ونستخلص مما أورده التتوخى أن المعتضد كان لا يشغله شئ عن التفكير فى أمر الدولة، وإذا علم بأمر يمس أمنها من قريب أو بعيد لا يغمض له طرف، ولا يكتفى بإصدار الأوامر لوزير أوقائد للنهوض بمعالجة القضية، بل يتابع ولا يهدأ⁽³⁷⁾، وهذا يؤكد الاختلاف البين بينه وبين جده المتوكل، وفى الوقت نفسه يؤكد التطابق بينه وبين الخليفة المعتصم⁽³⁸⁾.

ويذكر ذلك ابن حمدون نديم المعتضد الذى كان يحضر مجالسه الخاصة فيقول: فى ليلة شراب مع المعتضد جاءه كتاب فقرأه وقطع الشرب، وتغير حاله، واستدعى الوزير عبيد الله بن سليمان، فجاء به وهو يظن أنه قبض عليه، فرمى إليه الكتاب، وقد ورد فيه أن رجلاً من الديلم دخل قزوين متكرراً، وقال له اكتب الساعة إلى صاحب الحرب والخراج وأقم قيامتهما وهددهما بالقتل، وطالبهما بالقبض على الرجل وأعلمهما أن دمهما مرتهن به حتى يحضرانه، وأمرهما ألا يدخل البلد مستأنفاً أحد إلا بجواز، حتى لا يتم لأحد من الديلم الدخول سراً، وأمر الوزير أن يتابع وصول الخطاب، فسأل ابن حمدون الخليفة قائلاً لماذا ترك الشراب ونهض بالأمر على وجه السرعة، وكان من الممكن أن يؤخره إلى غد، فقال الخليفة: إن الديلم شر أمة فى الدنيا وأتمهم مكرراً وأشدهم بأساً، وأقواهم قلوباً، ووالله لقد طار عقلى فزعا على الدولة من أن يتطرق إليهم دخول قزوين سراً، فيجتمع فيها منهم عدة يوقعون بمن فيها ويملكونها ويلحق الملك من الضعف والوهن بذلك أمر عظيم يكون سبباً فى بطلان الدولة، وتخيلت أنى لو أمسكت عن التدبير ساعة أنه يفوت، وأنهم يحتلون قزوين، و والله لو مسكوها واحتوا على دار المملكة فما هنا لى الشرب، ولا طابت نفسى بمضى ساعة من زمانى فارغة من تدبير عليهم فعملت ما رأيت⁽³⁹⁾.

والحق أن المعتضد ركز على تأكيد مصلحة الدولة، ويدل على ذلك موقفه من محاولة الديلم دخول قزوين ونهوضه للقضاء على محاولتهم. أما عن إنصافه فى المعاملة ويتضح من خلال موقف حدث للمعتضد وهو فى أحد مجالسه الخاصة، يدل على أنه كانت تشغله مظلمة رجل من العامة، ويتخذ منها قضية عامة لإقرار حق أو منع ظلم فى أنحاء الدولة⁽⁴⁰⁾ حرصاً منه على إعادة الأمن إلى نصابه، وحسم القضايا بقليل من القول وكثير من العمل.

واقترن عصر المعتضد بحاسبة العمال، فلم يفلت أى مقصر من الجزاء مهما بلغت منزلته، ومن ذلك أنه فى أحد المجالس الخاصة، شكا أحد العامة من مؤنس الخادم صاحب الشرطة، فنهض الخليفة لمحاسبته، وأصر على استرداد أصحاب الحقوق حقوقهم، وذلك خير دليل على حرص الخليفة على كبح جماح الجند، حتى لا يقوى أمرهم ويتمكنوا من العامة. ومن أشهر أقواله، فى هذا الخصوص، أن الرعية وديعة الله عند سلطانها وأن الله سائله عنها⁽⁴¹⁾.

والواقع أننا نلمس مثل هذا التصدى للجند منذ بداية العصر العباسي الثاني، فمن المعروف أنهم كانوا يتجرعون على الناس، أما فى عهد المعتضد فقد اختلف الوضع بصورة كلية، ونستشهد على صدق ما ذهبنا إليه من كلام التتوخي تحت عنوان "مثل على ضبط المعتضد أمر جنده"⁽⁴²⁾. والحقيقة أن الوزير فى عهد المعتضد كان ملتزماً؛ ذلك بأن الخليفة كان يفرض عليه رقابة شديدة على عكس من جاء بعده من الخلفاء، فكان يعرف ما يدور فى مجالس الوزير الخاصة ويكاشفه به، وقد أفادتنا المعلومات فى هذا الخصوص عن استدعاء الخليفة المعتضد وزيره القاسم بن عبيد الله⁽⁴³⁾، وكان الوزير يخافه ويخفى عنه شربه ولعبه حتى لا يبدو أمامه منصرفاً إلى ملذاته.

وكان المعتضد مقتصدًا فى نفقاته الشخصية، برغم ما ذكر عن العصر العباسي الثاني وبعض خلفائه؛ فقد سار على غير سيرتهم؛ إذ كانت المبالغ الطائلة تتفق على موائدهم هم وبعض وزرائهم، أما هذا الخليفة فكان يقتصد من الطعام على ما يكفيه خوفاً من الله على مال المسلمين⁽⁴⁴⁾.

ومما لاشك فيه أن حرص المعتضد على الإنفاق هياً للدولة عمارة بيت المال، فحدث انتعاش فى اقتصادها، ولم نسمع عن ارتفاع فى الأسعار أو أثر لمجاعه، والدليل على ذلك بلوغ ميزانية الدولة عام وفاته (289 هـ/ 901 م) عشرين مليون دينار نقداً وعيناً⁽⁴⁵⁾، وذلك بعد الهبوط الملحوظ الذى اعتري الميزانية أيام الخليفة المتوكل، فقد كان ما فى بيت المال لا يتعدى أربعة ملايين دينار وسبعة ملايين درهم فقط⁽⁴⁶⁾.

وبلغت فراسة المعتضد أنه تنبأ بخراب ميزانية الدولة على أيدى ابنه جعفر (المقتدر)، إذ لا مفر من توليته الخلافة بعد أخيه المكتفى (على بن المعتضد) الذى توقع لها لا يظل فى الحكم بعد وفاته إلا فترة قصيرة. والسبب الذى بنى عليه المعتضد حيثياته هو ميل المقتدر الفطرى إلى الإسراف منذ مرحلة الطفولة⁽⁴⁷⁾. وقد صدقت نبؤته فقد بلغ المقتدر من الإسراف حداً أضاع معه كل ما اجتهد المعتضد فى جمعه، واضطربت السياسة المالية فى عهده.

والواقع أن المعتضد ما وجد أمراً في مصلحة المسلمين وصلاًحاً للدولة إلا أجزاه، حتى ولو خالف بذلك نفسه؛ ومن ذلك أنه جعل للقضاء استقلالاً وسلطة بدون تأثير من قبل الخليفة، حتى ولو كان أحد رجاله طرفاً في قضية ما، وذلك اعترافاً منه بأن التدخل في القضاء يعطله ويزيل هيبة الخليفة، فالقضاء في نظره عمود السلطان، وقوام الأديان. ويؤكد هذا قصة القاضي أبي محمد البصرى (48) الذى أدب أحد مماليك المعتضد (49).

ومن مواقف المعتضد العادلة مع عماله عند محاسبتهم موقفه من أبى العباس أحمد بن بسطام الذى كان يتولى أعمال واسط، واضطربت الأمور عليه، فأمر الخليفة بإسقاط ما بقى عليه من الديون مقابل مصروف كان يؤديه إلى أهل المصر الذى كان يتولاه، واعتمد شهادة الناس له (50).

ومن فضائله أيضاً أنه كان إذا نكب رجل من قاداته أمر عماله أمرهم ألا يعمدوا إلى التكيل به إلا فى حال التأكد مما نسب إليه، ومنها موقفه من وزيره إسماعيل بن بليل حين غضب عليه وأراد قتله، غير أنه استبعد إهراق دمه بغير حق، فاستدعى القاضي إسماعيل بن اسحق (51)، وسأله عن سيرة الوزير، فأفصح القاضي عن هوية الوزير، ودل الخليفة على ما يفيد خروجه عن الإسلام، وعندما تثبت الخليفة من قول القاضي أمر بقتل الوزير (52).

ومما هو جدير بالذكر أن المعتضد أحسن إلى العلويين؛ إذ كان يضطرم حباً لعلى بن أبى طالب (53) وبغضاً لمعاوية بن أبى سفيان، حتى إنه قرر أن يذكر مثالب معاوية على المنابر ويدعو الناس إلى ذلك، ولقد حاول قواده ونصحاؤه ثنيه عن ذلك، فلم يزد إلا إصراراً، ولكن وزيره عبيد الله بن سليمان تمكن من إقناعه بأن إذاعة هذا المنشور من شأنه أن يقوى موقف العلويين الثائرين ضد الدولة العباسية فى بلاد الديلم وغيرها من المناطق، وإذا سمع الناس هذا من فضائل أهل البيت كانوا إليهم أميل، فأمسك المعتضد عن ذلك (54).

وعلى الرغم من أنه قطع شوطاً بعيداً فى إصلاح الفساد وسياسة الأمور فإنه أفسح للهو جزءاً من وقت فراغه (55)؛ إذ كان يلجأ أحياناً إلى اللعب مع أصحابه وندمائه، ولكن فى غير استغراق أو تبذل للحفاظ على هيبة الخلافة ووقارها.

ويذكر ابن حمدون (نديم الخليفة المعتضد) أنه لم ينشغل بمجالسة الخاصة عن صلاة قط، وأنه كان على قدر كبير من العفاف عن أموال الناس، فلم يتطلع يوماً إلى استغلال بيت مال العامة فى إشباع رغبة عنده (56).

كما أن الخليفة لم يقدم على إيفاق مال إلا بحقه⁽⁵⁷⁾ ، ولم ينفق على مجالسه الخاصة أو على ندمائه من بيت المال، كما فعل الخليفة المتوكل؛ لذلك لم نر ندماء أو أصدقاء للمعتضد قوى أمرهم مالياً إلى المستوى الذي كانوا عليه في عهد المتوكل الذي كان يكافئ على بيت شعر ألف دينار⁽⁵⁸⁾ .

والمعتضد هو الذي ترك سامراء، واستبدل بها بغداد فضاعت أبهتها، وخربت بعد أن كانت تضارع بغداد، بل إنه لم يكن في الأرض كلها أحسن منها ولا أجمل ولا أعظم ولا أنس ولا أوسع ملكاً منها، ولما استدبر أمرها جعلت تنقض وتحمل أنقاضها إلى بغداد⁽⁵⁹⁾ .

توفي المعتضد عام 289 هـ / 902 م وفي بيت ماله الخاص ما يقرب من عشرة ملايين دينار عدا ما كان في بيت مال الخلافة العام⁽⁶⁰⁾ ، وتولى بعده ولى عهده ابنه المكتفى.

مجلس الخاصة للخليفة المكتفى بالله⁽⁶¹⁾

لم يستطع المكتفى أن يملأ الفراغ الذي تركه والده الخليفة المعتضد فقد أحكم المعتضد قبضته على رجال الدولة وتابع تحركاتهم اليومية وحاسبهم، ولم يترك لأحدهم فرصة تدبير أمر أو عقد عهد دون الرجوع إليه، ورأينا كم كان الوزير القاسم بن عبيد الله يهاب الدخول على الخليفة في مجلسه، وكان يتقرب من ندمائه حتى يستطيع الوصول إليه.

ومجلس الخاصة أيام المكتفى ندرك منه إنه وقع فريسة سهلة بين يدي وزيره القاسم ابن عبيد الله، فقد استطاع هذا الوزير أن ينفرد بالمكتفى حتى عظم شأنه⁽⁶²⁾ . فقد استطاع التخلص من منافسيه وعندما علت منزلة الحسين بن عمرو والنصراني كاتب المكتفى⁽⁶³⁾ سعى لإقصائه عن الوزارة وتوليه إبراهيم بن حمدان الشيرازي (كاتب الحسين) فأسرع الوزير بالتدبير لعزله واختلى بالخليفة في مجلسه الخاص، ودبر معه للخلاص من الحسين بن عمرو⁽⁶⁴⁾ .

لم يتوقف الأمر على تنازع الرجال حول السلطة في عهد المكتفى فقد انتكست البلاد في عهده بعد أن كانت ابتدأت تنتعش في عهد أبيه المعتضد وجده الموفق حيث ابتدأت ولايته بظهور المنافسات بين ذوى النفوذ في الدولة فكان أحدهم يكيد للآخر شر كيد حتى يورده المهالك من غير نظر إلى ما تقتضيه مصلحة الأمة.

وزادت ظاهرة اقتطاع أجزاء من أراضي الدولة العباسية فقد أصبح السامانيون أصحاب النفوذ المطلق في فارس، وتفاقم شر القرامطة حول بغداد والبصرة وفي سورية واليمن بزعامة زكرويه وألقوا الرعب والفرع في القلوب وانتهى أمرهم بأن هزمهم جيش الخليفة وأسر زكرويه قاندهم الذي مات بعد خمسة أيام⁽⁶⁵⁾ .

وفى عهد المكتفى انقرضت دولتان إحداهما دولة بنى طولون بمصر على يد القائد محمد بن سليمان الكاتب الذى تقلد ولايتها مكافأة له على جهوده فى إعادتها لسيطرة الدولة العباسية⁽⁶⁶⁾.

والثانية دولة الأغالبة بإفريقية انتهت على يدى ابن عبد الله الشيعى داعية الفاطميين بالمغرب⁽⁶⁷⁾.

كذلك ارتفع شأن النساء أيضاً فى عهد المكتفى وأصبح لهن دور فى سياسة الدولة ومن هؤلاء النساء داية المكتفى التى تسمى فارس التى ارتفعت منزلتها إلى أن أصبحت قهرمانة (مديرة بيت الخلافة) حتى أنها تدخلت فى تولية الوزراء وعزلهم ويبدو أن تدخل النساء فى الحكم بدأ فى عهد المكتفى وتواصل فى عهد المقتدر فقد زادت مهامهن بشكل ملحوظ فأصبحن يشاركن بصورة جدية فى الحكم⁽⁶⁸⁾.

مات المكتفى شاباً فى ليلة الأحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة 295 هـ/ 908 م، وقال فى علته والله ما أسى إلا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من مال المسلمين فى أبنية ما احتجت إليها، وكنت مستغنياً عنها، أخاف أن أسأل عنها وإنى أستغفر الله منها⁽⁶⁹⁾.

مجلس الخاصة للخليفة المقتدر⁽⁷¹⁾ بالله

الواقع أننا لا نقدم لعصر المقتدر من خلال كلام الندماء أو الأصدقاء ولكن ننقل تقريراً جاء على لسان الوزير على بن عيسى أشهر وزراء العصر العباسى الثانى يصف فيه المقتدر على الرغم من صغر سنه حين خلافته، إنه كان جيد العقل صحيح التفكير على دراية بأمور الدولة وخبرة بدروبها⁽⁷²⁾.

أخذ إلى الركون وترك الفرصة المتاحة حتى عاشت الدولة أوضاع سيئة على مختلف الأصعدة، ويفهم مما عرضه أنه لم يكن متحيزاً للمقتدر أو معارضاً له لأنه نقل حديثاً دار بين الخليفة وبعض رجال الدولة كان محوره سياسة المقتدر وأفعاله⁽⁷³⁾.

وشارك على بن عيسى فى مدح المقتدر أيضاً الحاجب أبو القاسم سلامة الطولونى وعلى بن الحواري⁽⁷⁴⁾ ونصر القشورى⁽⁷⁵⁾ فى أن المقتدر كان يبحث المعروض عليه من الأعمال ويدقق فيه ويبدى رأيه، ويثبت الخطأ ويذكر الصحيح، فلا يجد العامل بدأ من العدول إلى رأى الخليفة لما فيه من الصواب والعمل به⁽⁷⁶⁾.

وقد لا نغلو إذا قلنا أن سياسة المقتدر التى غلب عليها طابع التبذير والانهماك فى الملذات والشراب والعزوف عن شؤون الدولة مع أنه رغم ذلك حين يصحو من الشراب يصلى كثيراً ويتعبد.

ومن المعقول أن خليفة كهذا لا يستطيع أن يتسلم ناصية الأمور، ولا بد من أن يكون إلى جانبه جماعة يسرون الأمور، وينوبون عنه لينطلق هو إلى ملذاته. كانت الأيدى كثيرة لتوجيهه، وكانت أمه واسمها شعب أو السيدة تحيط به، وتوجهه على طريقته ويحيط به الحريم في دار الخلافة، وظهر جلياً تأثير الحريم في توجيه سياسة الدولة وإلى جانب الحريم الوزراء مما جعل الخليفة في مهب الريح يطلق السلطان حبناً لحريمه، وحيناً آخر لوزرائه مما جعلهم يتسابقون لتلبية رغباته في الإنفاق والتبذير ولما كانت نفقاته كبيرة، والمال الذي وجده في بيت ماله الخاص (خمسة عشر مليون دينار) لا ينبع بل ينضب، وعدد الجيش مع الحرس كبير، فإن الحاجة إلى المال تزداد مع الزمن حتى أنه بدأ في بيع ضياعه، وكان يعزل الوزراء ويولى غيرهم فغلب على الدولة عدم الاستقرار وضاعت هيبة الخلافة من ناحية وحدث عجز في ميزانيتها بشكل لم يسبق له مثيل من ناحية أخرى، فمن المعروف أن المقتدر استوزر اثني عشر وزيراً في مدة خلافته (295-320 هـ/ 908-932م) وكان بعض الوزراء لا يستقر في الوزارة حتى يدور العام، وذلك لكثرة الزعامات في الدولة⁽⁷⁷⁾.

وهناك ظاهرة جديدة في العصر العباسي الثاني وفي عهد المقتدر، هي كثرة تولية كبار الموظفين وعزلهم، حتى قيل أنه عين في يوم واحد تسعة عشر ناظراً للكوفة، وكان تغيير الوزراء يؤدي إلى تغيير الأتباع والمحاسيب من موظفيهم فيعزلوا بعزلهم.

ورغم ما عُرف به المقتدر من الضعف وما كانت عليه الخلافة من تفكك ووهن فقد ظهرت الدولة العباسية في عهده بمظهر القوة حين علم أن رسول إمبراطورية الروم قسطنطين السابع في طريقه إلى بغداد لطلب الهدنة وتبادل الأسرى فقد أنشأ لذلك داراً لاستقبال رسول الإمبراطور، عرفت بدار الشجرة، وفرشت بالقروش الجميلة، وزينت بالآيات الجليلة ورتب الحجاب وخلفائهم والحواشي على طبقاتهم، على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها ومجالسها ووقف الجند صفين بالثياب الحسنة وتحتهم الروان بمرائب الذهب والفضة وبين أيديهم الخبائب على مثل هذه الصورة⁽⁷⁸⁾ ووصف السيوطي احتفال الخليفة برسول إمبراطور الدولة البيزنطية⁽⁷⁹⁾.

كل هذه النفقات والتبذير كان سبباً مباشراً في ضياع هيبة الدولة من ناحية وحدث عجز في ميزانيتها بشكل لم يسبق له مثيل.

حيث كان المقتدر متقلب الطباع غير حازم في قراراته وذلك حسب ما نستخلصه من المعلومات التي ساقها لنا التنوخي حول هذا المفهوم⁽⁸⁰⁾.

وقد جرى على ذلك طول مدة خلافته فقد يتبنى وجهة نظر أحد رجاله إلا أنه يعرض عنها حينما يتعرض لتأثير من رجل آخر مثلما حدث مع عامله على إقليم أذربيجان يوسف ابن أبى الساج⁽⁸¹⁾.

وحول إسراف الخليفة المقتدر فى مجالسه الخاصة يروى التتوخى عن أحد الخدم الذين يعملون فى بستان الخليفة أن المقتدر أراد قضاء ليلة يشرب فيها فى بستان من نبات النرجس، وكانت النباتات صغيرة فاحتال الخدم وقاموا باستعمال مسحوق نبات المسك فى تسميد البستان بدلاً من السماد العضوى حتى لا تخرج منه رائحة غير مستحبة تؤذى الخليفة، ولاشك أن هذا العمل تكلف أموالاً طائلة⁽⁸²⁾. فى الوقت الذى كانت الدولة فى حاجة إلى كل دينار لتدبير الأموال اللازمة لإعداد الجيوش لصد هجوم القرامطة الذين هددوا أمن الدولة وسلخوا بعض أقاليمها.

ومن مظاهر الإسراف الذى اتصف به الخليفة المقتدر كثرة الخدم فى دار الخلافة فقد وصل عددهم إلى ما يقرب من أحد عشر ألفاً من جنس واحد فقط مثل الصقالبة (هم السلاف من شرق أوربا) ناهيك عن الأجناس الأخرى مثل الروم، والسود، بخلاف الغلمان الحجرية وهم ألوف كثيرة، وهذه الأعداد إن لم يكن مبالغ فى ذكرها تحتاج إلى ميزانية خاصة تتحملها خزينة الدولة⁽⁸³⁾.

ومرد ذلك أن الخليفة يعيش فى معزل من شعبه فقد اختص نفسه وحاشيته وكبار رجال دولته بكل أنواع الترف والمتعة⁽⁸⁴⁾، فى حين كتب على الشعب أن يكبح لينعم غيره أما هو فعليه أن يتجرع غصص البؤس والشقاء، وقد حرم حقوقه الأمر الذى أدى إلى انتشار المجاعات وزيادة الأسعار، وظهور الثورات العامة وانتشار اللصوصية⁽⁸⁵⁾.

ولم يقتصر الترف على الخليفة بل امتد إلى حاشيته فقد قلد الوزراء⁽⁸⁶⁾ وكبار رجال الدولة لدرجة أن رجلاً يسمى جعفرًا (ملاح المركب) الذى كان يتنزه فيه الخليفة كان طعامه كل يوم جدياً مشوياً ولحماً مطبوخاً بالخل ورغيفاً مصنوعاً من الدقيق الأبيض، وقد اضطر الخليفة يوماً إلى أن يأكل من مائدة الملاح فاستطاب الطعام وطلب إضافة بعض الحلوى مع استمرار إعداد هذه الوجبة يومياً على سبيل الاحتياط، وكانت تكلف ما بين عشرة دنائير إلى خمسة عشر ديناراً، وظلت كذلك إلى أن قتل المقتدر دون أن يأكل منها⁽⁸⁷⁾.

ويلاحظ المبالغة فى وصف مظاهر البذخ فى عهد المقتدر وهذا يسلط الضوء على الثراء الفاحش الذى كانت تتمتع به الطبقة الحاكمة، على الرغم من أن هذا الثراء لم

يكن نتيجة مباشرة لزيادة دخل الدولة، أو من ريع ضياع الخليفة بل على الضد من ذلك كان إهداراً لما في بيت المال العام الذي اجتهد أسلافه في تحصيله - فقد ذكر أن المقتر (88) أنفق على إسرافه وبذخه أكثر من سبعين مليون دينار .

وقد أوردنا فيما سبق أن الخليفة المعتضد تنبأ بضياع الدولة على يد المقتر، والواقع أن ما حدث يدل على بعد نظر المعتضد فالمقتر هو أول خليفة لجأ إلى بيع ضياعه في تاريخ الدولة العباسية وقد برزت ملامح أساسية في الدولة أرغمت الخليفة على الإقدام على مثل هذا العمل منها:

أولاً: سيطرة الغلمان⁽⁸⁹⁾ على إدارة الحكم وعدم قدرة الخليفة على تجاهل مطالبهم لاسيما من الناحية المالية.

ثانياً: عجز ميزانية الدولة عن الوفاء بالمتطلبات الأساسية حتى اتسع الفتق ولم يعد من الممكن رتقه، فقد أصبح بيت مال العامة⁽⁹⁰⁾ شبه خاو .

ثالثاً: إفلاس بيت مال الخاصة⁽⁹¹⁾ .

رابعاً: عدم نهوض الخليفة لمعالجة ذلك الأمر الذي أدى إلى تفاقم الأمور حتى أرغم الخليفة على التقدم لبيع الأملاك الخاصة بالأسرة المالكة⁽⁹²⁾ .

لاشك أن إسراف الخليفة مع قلة موارد الدولة أدباً إلى وجود تباين في الدخول فقل عدد أصحاب الدخول الكبيرة نتيجة لمصادرة أموالهم لسد نفقات الدولة⁽⁹³⁾ ووجود طبقة متوسطة صغيرة من أصحاب الحرف بعيداً عن بغداد وفي الوقت الذي كان فيه دخل العامة بسيط⁽⁹⁴⁾ .

وقد ذكر بعض المؤرخين المحدثين أن الدولة في عهد المقتر ضاعت بين الجند والنساء والترك⁽⁹⁵⁾ هذا وقد أصبح قصر خلافة المقتر نهباً لكل عابر، يستطيع أي رجل له معرفة بأحد الخدم أن يرتفع شأنه ويصبح من الأغنياء، وكثيراً ما كان الخليفة بنفسه يغشق على بعض الناس إرضاء لخدمته أو بإشارة من أمه، ويؤكد ذلك ما ذكره أحد ندماء الخليفة مما يوضح منزلة الخدم في عهد المقتر⁽⁹⁶⁾ . لذلك نرى أن إسراف

المقتر⁽⁹⁷⁾ الذي بلغ فيه حداً تسبب في إهدار قيمة الخلافة ولم يعد قادراً على إمضاء الأمور كانت نتيجة أن طمع فيه من هو دونه مثل الجند والقواد وأرغموه على أن يصدع لأوامرهم وبالتالي تعطلت إدارة الحكم في الدولة، وأصبح طلب المال لسد نهمهم سيفاً مسلطاً من الجند على نحره حتى أن الجند انسحبوا من جيشه سنة 320 هـ/ 931 م لعدم قدرته على مواصلة صرف رواتبهم وانضموا إلى مؤنس التائر ضده، وكانت نهاية الخليفة المأساوية على أيديهم⁽⁹⁸⁾ .

مجلس الخاصة للخليفة الراضى⁽⁹⁹⁾ بالله

فى عهد هذا الخليفة تقوضت سلطة الخلافة وأفل نجمها وكانت الحال تزيد ادياراً واضطراباً فى عهده فأصحاب السلطان فى العراق يتنافسون ويقتتلون والذين يحيطون بهم من المتغلبين يجدون ويجتهدون فدولة الأندلس زهت وعظمت بهمة الخليفة عبد الرحمن الناصر الذى تسمى بذلك بعد أن وجد ضعف الخلافة العباسية وكذلك الدولة الفاطمية فى المغرب التى اشتدت وطأتها وتحاول الاستيلاء على مصر وبنوبويه ظهوروا وارتفع شأنهم واستولوا على فارس، والروم وانتهزوا هذه الفرص لاقتطاع البلاد الإسلامية وغزوا الثغور فقد أصبح الخليفة الراضى صورة بلا معنى مع ابن رائق الذى تولى إمرة الأمراء سنة 324 هـ/ 935م⁽¹⁰⁰⁾.

وعلى الرغم من أن الراضى سُلِّبَت سلطته إلا أن مجالس الخاصة فى عهده كانت تحاكي مثيلاتها أيام أبيه المقتدر، من حيث الترف والإسراف الذى كانت ملامحه تبدو فى كل شئ بغية جلب المتعة مع الندماء فى سهرات يتخللها الخمر والفاكاهة وقرض الشعر فى غالب الأحيان ونستنتج مما أورده التتوخى أن الخليفة كان يلجأ لهذا الأسلوب ليهرب من الحقيقة التى عاشها باعتباره رجلاً على الهامش، فالصورة التى عاشها تمثل نمطاً مفروضاً عليه، فقد كفاه أمير الأمراء، مؤونة التفكير فى مصالح الدولة وتدبير شئونها، وصرفه إلى حياة خاصة عالمه فيها لا يتعدى الأصدقاء والندماء والشعراء⁽¹⁰¹⁾.

ويروى عن إسراف الخليفة الراضى أنه أمر بمنح جائزة مالية لجماعة من ندمائه حضروا لمشاهدة مبنى جديد شُيد له، وحدد هذه الجائزة بوزن المقعد الذى يجلس عليه كل منهم من الدنانير، وكان لجوده معهم لا ينصرف أحدهم من عنده إلا بهدية من مال أو خلعة أو شئ من الطيب وهو على ذلك لم يستكثر على أحد من ندمائه كثرة ما يصل إليه⁽¹⁰²⁾.

هذا وقد وقف الراضى عاجزاً حيال سيطرة أمير الأمراء بجمك⁽¹⁰³⁾ على السلطة حتى أنه أصدر عملة من الدنانير والدرهم وطبع عليها صورته دون الخليفة الذى لم يفكر فى النهوض لاستعادة سلطته المسلوبة، واكتفى بالانشغال بمجالسة الخاصة بين الندماء يتجرع مع الخمر مرارة النسيان، ويستمتع إلى الشعر ويقرضه، كما انشغل بمباشرة نسائه حتى كانت منيته، فقد مات بالاستسقاء، وهو دون الثلاثين من عمره سنة 329 هـ/ 940 م⁽¹⁰⁴⁾.

وكان الراضى أشد الخلفاء العباسيين تعلقاً بندمائه حتى أنه كان لا يطيق العيش بعيداً عنهم، فإذا غاب أحدهم أرسل في طلبه، ومما يدل على شدة تعلقه بهم أنه تمنى الموت حزناً على وفاة قاضى القضاة⁽¹⁰⁵⁾.

ختم الراضى خلفاء بنى العباس فى أشياء منها أنه آخر خليفة دون له الشعر وآخر خليفة انفرد بتدبير الملك وآخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة وآخر خليفة جالس الجلساء، ووصل إليه الندماء وآخر خليفة كانت له نفقته وجوائزه وعطاياه وخزائنه، ومجالسه، وحجابه وأمر جارية على ترتيب الخلافة الأولى وآخر خليفة سافر بزي الخلفاء⁽¹⁰⁶⁾.

الخاتمة

بعد الانتهاء من الحديث عن المجالس الخاصة لبعض خلفاء بنى العباس فى العصر العباسى الثانى يحسن أن أشير إلى بعض النقاط الهامة فى الموضوع، والتى ناقشتها فى ثانيا البحث.

ولعل من أبرز تلك النقاط:

أولاً: أنه كان للخليفة العباسى مجلسان: مجلس رسمى، ومجلس خاص وبالنسبة للمجلس الخاص وهو موضوع البحث، كان فيه الخليفة أكثر قرباً وألفة بجلسائه الذين كانوا يختلفون من حيث الوظيفة ومدى الصلة فكان منهم رجال الدولة من وزراء وكتاب وقادة وكثيراً ما كان الخليفة يقرب إليه العلماء والأدباء والشعراء والندماء، كما كان يستمع إلى المغنين والموسيقيين والقصاص والشعراء والأدباء والمنجمين وتعددت مجالس الغناء والطرب.

ثانياً: كان يحضر مجلس الخليفة بعض النساء من شهيرات الجوارى وكبيرات الملحنات والمغنيات وذكر من ذلك بخاصة فى عهد الخليفة المتوكل الذى كان يحضر مجلسه الخاص بعضهن وتحدث مناظرات شعرية بينهن وبين ندمائه.

ثالثاً: مظاهر البذخ والإسراف والتبذير فى المجالس الخاصة مما أدى إلى حدوث أزمة مالية وبدلاً من توجيه هذه الأموال إلى مرافق الشعب وحاجاته أو إعداد الجيوش نرى بعض هؤلاء الخلفاء من بنى العباس ينفقون الأموال فى وجوه السفه واللهو والملذات مما أدى إلى حدوث العجز فى ميزانية الدولة بشكل لم يسبق له مثيل.

رابعاً: لاشك أن الإسراف فى المجالس الخاصة الذى كان إهداراً لبيت المال العام مع قلة موارد الدولة أدى إلى وجود تباين فى الدخول فقل عدد أصحاب الدخول الكبيرة نتيجة لمصادرة أموالهم لسد نفقات الدولة ووجود طبقة متوسطة صغيرة من أصحاب الحرف بعيداً عن بغداد فى الوقت الذى كان فيه دخل العامة بسيطاً، حيث ضاعت الدولة وخاصة فى عهد المقتدر بين الجند والنساء والترك.

خامساً: ضياع هبة الخلافة حتى أن الخليفة فى ذلك العصر لم يعد قادراً على تصريف الأمور كان نتيجة ذلك أن طمع فيه من هو دونه مثل الجند والقواد وأرغموه على أن يصدع لأوامرهم وبالتالي تعطلت أداة الحكم فى الدولة وأصبح طلب المال لسد نهمهم سيفاً مسلطاً من الجند على نحره لعدم قدرته على مواصلة صرف رواتبهم.

سادساً: اختلاف المجلس الخاص لبعض الخلفاء من أمثال المعتضد حيث لم تشغله مجالسه الخاصة عن متابعة أمور الدولة وتدبير شئون الرعية، والبحث في أدق الأمور ولا يكتفى بإصدار الأوامر لوزير أو قائد للنهوض بمعالجة القضية بل يتابع وكان حريصاً في الإنفاق فهيأ للدولة عمارة بيت المال فحدث انتعاش في الاقتصاد وبلغت فراسته أنه تنبأ بخراب ميزانية الخلافة على أيدي ابنه جعفر الملقب بالمقتدر.

وأخيراً لو عقدت مقارنة بين خلفاء العصر العباسي الأول وخلفاء العصر العباسي الثاني لوجدنا اختلافاً كبيراً ففي العصر العباسي الأول عصر الخلفاء العظام، حيث كانت الخلافة لها كيان وصاحبة المكانة العالية والهيبة التي أخضعت الممالك وأذلت العروش التي كانت تُجاهر بعداها لتلك الخلافة ثم جرى عليها ما جرى على مثيلاتها من الأمم التي عاشت في عنفوان شبابها وذروة قوتها ولكن سرعان ما بدأ الضعف والتدهور في العصر العباسي الثاني حيث تولى الخلفاء الذين انغمسوا في ملذاتهم وأهملوا أحوال الرعية وكانوا يستحقون أن تُسحب منهم الثقة بعد أن تحكم بهم القواد والأترار وأصبحوا على الهامش ليس لهم من الأمر شيء.

هذه في الواقع نبذة قدمتها أرجو أن أكون قد وفقت في إيضاح بعض الحقيقة عن هذه المجالس ولا أدعى في هذا أنني قد أشرفت على النهاية أو وصلت إلى الغاية في هذا الموضوع وإنما هي محاولة للوصول إلى الحقيقة التاريخية فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن أخطأت فحسبي أنني بشر وكلنا أخطاء، وما أردت إلا الحقيقة وليس غير الحقيقة بعيداً عن الهوى والانفعال قدر جهدي وطاقتي.

وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث

- (1) سورة الفرقان: آية 67.
- (2) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، ج2، القاهرة 1948م، ص 442، 443؛ د. حسن الباشا: دراسات فى الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية بالقاهرة، 1988م، ص 134، 135.
- (3) هوجعفر بن محمد المعتصم أخوالخليفة الواثق ببيع بالخلافة بعد موت أخيه وكان على نقيض أخيه وأبيه وعمه إذ أنه خالفهم فى القول بخلق القرآن ورد الناس إلى السنة وكان متعصباً ضد العلويين فهدم قبر الحسين واضطهد العلويين وأشياهم وشدد على أهل الذمة، ولم يكن فى قوة أبويه المعتصم، الذى سيطر على الأمور الداخلية وغزا الروم ولم يكن فى حكمة أخيه الواثق الذى أحسن إلى أولاد عمومته من الطالبيين وزاد فى برهم ووقع المتوكل تحت تأثير مجموعة من الندماء بالإضافة إلى أنه كان متغير المزاج على جلسائه وندمائيه فإذا غضب على أحدهم نفاه، وفى آخر أيامه وقع تحت تأثير زوجته قبيحة أم المعتز وقدمه على أخيه المنتصر ولى العهد فثار الأخير وتآمر مع الأتراك على قتل أبيه سنة 247 هـ/ 867 م، الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر للطباعة بمصر، 1979م، ج 11، ص 64، 65؛ المسعودى: التنبيه والإشراف، دار مكتبة الهلال بيروت، ص 329؛ ابن طباطبا: الفخرى فى الآداب السلطانية، ص 237.
- (4) ابن حمدون هو أبو محمد عبد الله أحمد بن إبراهيم كان أشهر ندماء المتوكل ورث المنادمة عن أبيه (كان أبوه ينادم المعتصم والواثق من بعده)، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مصر/ 1928م، ج 1، ص 365، 366.
- (5) التتوخى: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، طبع دار صادر بيروت، 1971، ج 1، ص 301، 302.
- (6) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح الدكتور فقيه محمد قميحة، دار الكتب العلمية ببيروت، ج4، ص 141، 142.
- (7) الجاحظ: التاج فى أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكى باشا، الأميرية بالقاهرة، 1952م، ص 150.
- (8) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، دار الكتاب العربى بيروت، ج 5، ص 298.
- (9) ابن الساعى: تاريخ الخلفاء العباسيين، القاهرة، 1993م، ص 84، ابن الأثير: المصدر السابق: ج 5، ص 287، 288. البيهقي: تاريخ يعقوبى، بيروت، 1960م، ج3، ص 218.
- (10) مكتوبة بالله فى كتاب السيوطى: تاريخ الخلفاء، دار المنار بالقاهرة، 2003، ص 265.
- (11) المعتز: تولى الخلافة عام (252-255 هـ/ 866-869 م) وكانت أمه قبيحة أحد جواري

المتوكل المشهورات بالجمال وهي رومية الأصل وسُميت بذلك خوفاً عليها من الحسد وعندما حبس الأثرak ابنها ومات في سجنه هربت بالأموال والجواهر — ورفضت دفع 50 ألف دينار رواتب الجند وضحت بابنها في سبيل الأموال، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج3، ص 32، 33؛ على إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام العام، النهضة العربية، 1971م، ص 429.

(12) المؤيد: أحد أولاد المتوكل من جارية مولده أندلسية اسمها اسحق ولدت له الموفق أبا أحمد وإبراهيم المؤيد الذي مات في سجنه سنة 252 هـ / 866 م ولم يتولى الخلافة، ابن الساعي: نساء الخلفاء، دار المعارف مصر، 1993م، ص 82.

(13) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج2، ص 285، ابن الساعي: تاريخ الخلفاء العباسيين، ص 76.

(14) فأنشدته:

باتوا على قُلل الأجيال تحرسهم
غلب الرجال فما أفنتهم القال
واستنزَلوا بعد عز عن معاقلمهم
وأودعوا حفراً يا بُس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا
أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة
من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرًا وما شربوا
فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

ابن الساعي: تاريخ الخلفاء العباسيين، ص 77.

(15) المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص 397.

(16) فضل جارية الخليفة المتوكل جليت من البصرة فاشتراها رجل من النخاسين بعشرة آلاف درهم فاشتراها منه محمد بن الفرج الراخى (نسبة إلى مدينة رنج من مدن كابل)، وكان من أعيان الكتاب أيام المأمون إلى أيام المتوكل) وأهداها إلى المتوكل وكانت شاعرة ماجنة، ومن أحسن الناس حظاً وأفصحهم كلاماً وأبلغهم في مخاطبة وأبينهم في محاوره ومن أظرف أهل زمانها نشأت في البصرة ومولدها اليمامة؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء العباسيين، ص 360؛ ابن المعتز: طبقات الشعراء، دار المعارف مصر، ص 426. وقال المتوكل يوماً لعلی بن الجهم في أحد مجالسه الخاصة (قل بيتاً من الشعر وقل لفضل الشاعرة تجزّه) فقال على: أجيزي يا فضل:

لاذ بها يشتكى إليها .: فلم يجدْ عندها ملاذاً

فأطرقت هُنيئةً ثم قالت:

ولم تزل ضارعاً إليها .: تهطل أجفائه رذاذاً

فعاتبته فزاد عشقاً .: فمات وجداً فكان ماذا؟

- فطرب المتوكل وقال: أحسنت وحياتى يا فضل وأمر لها بألفى درهم، ابن الساعى: نساء الخلفاء، ص 84، 85.

(17) ابن الساعى: المصدر السابق، ص 86، 87.

(18) المسعودى: مروج الذهب، ج 4، س 73.

(19) ضحك المتوكل ورمى الرقعة إلى الشاعر على بن الجهم فقرأها فإذا فيها:

يا طيب ثقافة خلوتُ بها

تشعل نار الهوى على كبدى

أبكى إليها فأشتكى دنفى

وما ألقى فى شدة الكمد

لو أن ثقافة بكت لبكت

من رحمتى هذى التى بيدى

- فقال الشاعر على بن الجهم فما بقى والله أحد فى المجلس إلا استظرفها واستملح الأبيات وأمر المتوكل عريب وشارية فصنعتا فى الشعر لحنين غنى بهما باقى يومه) وعريب وشارية من شهيرات الجوارى وكبيرات الملحقات والمغنيات وكن يحضرن مجلس المتوكل، ابن الساعى: نساء الخلفاء، ص 93.

(20) ذكر ياقوت الحموى أن المتوكل أجرى نهراً للمدينة من دجلة يزيد طوله عن سبعين ميلاً وعندما انتقل إلى المدينة انتقل إليها خدمه وحشمه وعامة أهل سامراء حتى كادت تخلو من البشر، كما ذكر أن عملية اغتياله تمت فى هذا القصر، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مصر، 1928م، ج 2، ص 143.

(21) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، مصر، 1979م، ج 11، ص 56.

(22) أبو الحسن على بن أبى منصور المنجم كان راوية للأشعار والأخبار نادم الخليفة المتوكل وكان مقماً عنده وظل ينادم الخلفاء حتى سنة 275 هـ / 888 م فى عهد المعتمد وكان يجلس بين يدى الخلفاء وأسرههم ويفضون إليه بأسرارهم وورث أبناءه المناذمة من بعده، ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة بيروت، 1978م، ص 205.

(23) يذكر التتوخى أن عدد الفراشين والخدم فى كل نوبة (وردية) فى دار المتوكل أربعة آلاف فراش وكانت النوبة يوماً كاملاً ثم يحضر غيرهم ويحل محلهم ومعنى هذا أن عدد الخدم فى

قصر الخلافة بلغ ثمانية آلاف، التتوخي: نشوار، ج5، ص 48 يضاف إلى ذلك ما ذكر عن إسرائه حيث أنه كافاً من أجاد طبخ قدر أعجبه بأن منحه قدراً مملوءة بالدرهم وينسب إليه أيضاً نوع من الحساء أطلق عليه اسم المتوكلية، حسن الباشا: دراسات في الحضارة الإسلامية، ص 136.

(24) هبطت قيمة العملة حيث وصل سعر الدينار خمسة عشر درهماً، ياقوت: معجم البلدان، 1912، ص 31، قدامه بن جعفر، الخراج، ليدن، 1889م، ص 239.

(25) حدث ذلك نتيجة إهمال أمر النهر الموصل إليها وعدم استكمال حفره، المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص 148، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص 298.

(26) المنتصر بالله ابن المتوكل أمه أم ولد اسمها حبشية تولى بعد أبيه سنة 248 هـ / 862 م ستة أشهر وكان شريكاً مع الأتراك في دم أبيه قال عنه البحتري:

أكان ولي العهد أضمر غدره. فمن عجب أن ولي العهد غادره

فلا ملك الباقي تراث الذي مضى. ولا حملت ذاك الدعاء منابره

؛ محمد الخضري: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، دار القلم، بيروت، 1986م، ج2، ص 301.

(27) الفتح بن خاقان أديب شاعر فصيح غاية في الفطنة والذكاء استوزره الخليفة المتوكل وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه وكان يقدمه على جميع أهله وولده، الزركلي: الأعلام، مطبعة كوستا، بيروت، ج5، ص 331، الكتبي: فوات الوفيات، القاهرة، 1299 هـ، ج 2، ص 123، ويذكر الطبري أن الفتح بن خاقان كان يشرف على مجلس الخاصة للمتوكل ويدير شئون الندماء ويطلب منهم الغناء، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج11، ص 62، 63، ويذكر ابن العبراني أن الفتح بن خاقان رمى نفسه على الخليفة حينما رأى ما فعله به الأتراك، وقال له لا حياة بعدك يا أمير المؤمنين، ابن العبراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق د. قاسم السامرائي، ليدن، 1973م، ص 125.

(28) الحنبلي: شذرات الذهب، ج2، ص 116.

(29) مرهاء: ابيضت بواطن أجفانها بترك الكحل فهي مرهاء.

(30) متسلية: لبست السلاب وهي ثياب المأتم كالحداد وكان عليها ثياب بيض وهما لباس الحزن عند بني العباس.

(31) غنت محبوبه وهي تبكي:

أى عيش يطيب لى. لا أرى فيه جَعفراً

ملكاً قد رآته عيني. قتيلاً مُعقراً

؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 268 ويذكر "يلذ لى بدلاً من يطيب لى"، ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص 97.

(32) ابن الساعي: نفس المصدر، ص 98.

(33) قال المعتمد فى حجر أخيه عليه:

أليس من العجائب إن مثلى .: يرى ما قل ممتنعاً عليه؟

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً .: وما من ذاك شئ فى يديه

إليه تحمل الأموال طراً .: ويمنع بعض ما يجبى إليه

(34) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج7، ص 103.

(35) المسعودى: التنبيه والإشراف، بيروت، ص 330، 334؛ ابن طباطبا: الفخرى فى الأداب السلطانية، مطبعة دار صادر بيروت، ص 239، 250.

(36) المعتضد هو أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة حفيد الخليفة المتوكل تولى الخلافة بعد وفاة عمه المعتمد سنة 279 هـ / 892 م وكان قوياً فى أمر الخلافة فقضى على الفساد، ومنع الجند من التعدى على الرعية، وأحسن إلى العلويين، وكان شجاعاً، مهيباً، وافر العقل، شديد الوطأة وكان قليل الرحمة إذا غضب على قائد أمر أن يلقى فى حفرة ويردم عليه، وتوفى عن عمر يناهز السابعة والأربعين، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص 282، المسعودى: التنبيه والإشراف، ص 336.

(37) التتوخى: نشوار المحاضرة، ج1، ص 319.

(38) المعتصم ثامن خلفاء بنى العباس تولى الخلافة (218-227 هـ / 833-842م) وكان ذا شجاعة، وهمة، وقوة، ويحكى أنه كان يوماً فى مجلس شربه قبلغه أن امرأة هاشمية لطمها بعض نصارى عمورية فصاحت وامعتصماه فختم المعتصم الكأس التى كانت بيده وحلف لا يشربها حتى يفك أسر المرأة ويأخذ بثأرها وتوجه إلى عمورية فى سبعين ألف جندى وحاصرها ولم يزل حتى فتحها بالسيف وخربها وأحرقها وأحضر تلك الهاشمية وقال لها لبيك يا أختاه وأحضر تلك الكأس التى ختمها فشربها، ابن الساعى: تاريخ الخلفاء، ص 72.

(39) التتوخى: المصدر السابق، ص 321.

(40) ذكر الحسن بن إسماعيل بن اسحق القاضى نديم المعتضد أن الخليفة كان يشرب يوماً فى مجلس الخاصة، وهو يشرب معه، فأدخل رجل على الخليفة يعمل قطناً من أهل بركة زلزل (بين بغداد والكرخ)، قال: ليس للمسلمين ناظر فى أمورهم فقال له المعتضد: فأين أنا؟ وأى شغل يشغلنى؟ فاشتكى الرجل بأنه ابتاع شيئاً من رجل فوجد ميزانه ناقصاً، فأحضر المعتضد المحتسب إلى حضرته وبلغ الخليفة فى زجره وأنكر عليه إهمال شؤون عمله، وأمره بالتعبير (ضبط العيار)، وتتبع الطوافين (الباعة الجائلين) وأهل الأسواق وأمر الخليفة بصرف القطان أمناً، وكان المعتضد يعمد إلى ذلك حتى لا ينتشر مثل هذه الأعمال على لسان العامة ويظهر الفساد ويولد امتعاضاً عند الناس، وتثور الفتن، وليس شئ أبلغ من حسم ذلك فينتشر عند العوام ما عليه الخليفة من التيقظ، التتوخى: نشوار، ج1، ص 326-328.

(41) حكى أحمد بن عبد الرحمن بن أبى عوف الذى كان نديماً للمعتضد وصديقاً للوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب الذى رفع مظلمة رجل يسكن فى قرية من أعمال واسط يشكو فيها أن مؤنساً أرسل رجلاً من قبله كبسوا على دكانه واستولوا على عقد قيمته ألف دينار، فكتب له

الخليفة رقعة ليسلمها إلى مؤنس قال فيها: يا مؤنس حسرت على قصد دكان رجل تاجر يعرف بقلان، وفتحت صندوقه، وأخذت منه عقد جوهر قيمته ألف دينار وأنا في الدنيا، والله لولا أنها أول غلطة غلطتها ما جرى في ذلك مناظرة، اركب بنفسك إلى دكان الرجل حتى ترد العقد في الصندوق بيدك ظاهراً فلما قرأ مؤنس الرقعة اسود وجهه وارتعد ورد العقد بسيدته في الصندوق، ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1357 هـ، ج 5، ص 137.

(42) ذكر التتوخي أن رجل يسمى ذا النون بن موسى أنه خرج من قريته يريد عسكر مكرم (من نواحي خوزستان) ليبيع بطيخاً، فلقبه في الطريق جيش عظيم وتسرع إليه جماعة منه وأخذوا ثلاث بطيخات أو أربع، وإذا بكوكبة عظيمة يتقدمها الخليفة المعتضد فشاهد الرجل يبكي فسأله عما يبكيه فاشتكى له من الجند فأمر الخليفة بإحضار الجندي الذي سرق البطيخ وأمر بضربه مائة مقرة وهو يقول له أما قدرت أن تمنع نفسك منه، هو مالك؟ مال أبيك؟ أليس هذا الرجل الذي قد تعب بنفسه في زرعه وسقيه، وأداء خراج، التتوخي: نشوار المحاضرة، ج 1، ص 329-330.

(43) استدعى المعتضد الوزير القاسم قبل أن ينصرف واستدعاه إلى أن صار بحيث لا يسمع كلامه غيره وقال له يا قاسم لودعوتنا البارحة، فكنا نلعب معك ولكنك احتشمت من أجل المصبغات التي لبستها أنت وعشيقك، فكاد القاسم يموت جزعاً وقد علم أن المعتضد كان يدس غلماناً في هيئات مختلفة تطوف في الدواوين وأصحاب البريد، والجند وفي دار الوزارة، يدخل كل منهم حُر الغلمان والخدم والجواري والقهرمانات لتقصي الأخبار، وقد اكتشف الوزير أن رجلاً يجمع عنه الأخبار، ويكتب بها كل نصف نهار إلى الخادم الموكل بدار ابن طاهر، فيمضي بها الخادم إلى المعتضد وذلك مقابل راتب شهري قدره ثلاثين ديناراً، التتوخي: المصدر السابق، ج 3، ص 276-283.

(44) ويدل على ذلك ما يروى عن المعتضد أنه طلب يوماً لون من ألوان الطعام فلم يجده، فأمر ألا يخلو المطبخ منه حتى إذا طلبه يجده، فداوموا على إحضاره طول العام، فلما رفعت له قائمة الحساب وكان يقف بنفسه على حساباته ورأى ما أنفق على ذلك اللون استهوله وقال: أستغفر الله أن ينفق لى من مال المسلمين على لون من الطعام هذا كله، إن هذا لعين الإسراف، وأمر بقطع عمله، التتوخي: نشوار، ج 3، ص 192.

(45) ابن الجوزي: المنتظم، ج 6، ص 32.

(46) المسعودي: مروج الذهب، ج 4، ص 141.

(47) ودليل على ذلك ما ذكر على لسان صافى الحرمل مولى الخليفة المعتضد ومن أشهر قادة الدولة العباسية بقوله مشيت بين يدي المعتضد وهو يريد دار الحرم فرأى ولده جعفر (المقتدر) وله خمس سنين أو نحوها قد جمع عشر وصيفات من أقرانه وبين يديه طبق فضة فيه عنقود عنب في وقت فيه العنب عزيز جداً، والصبي يأكل عنبه واحدة، ويطعم الجماعة عنبه عنبه على الدور حتى فني العنقود، فتمزق المعتضد غيظاً وقال والله لولا النار والعار لقتلت هذا الصبي اليوم فإن قتله صلاح للأمة ثم أردف: أنا رجل سست الأمور وأصلحت الدنيا بعد فساد شديد، ولابد من موتي، وإن الناس سيجلسون ابني علياً (المكتفى) وما أظن عمره يطول لليلة التي به، ولا يجدون بعده أكبر من جعفر فيجلسونه وهو صبي، وله من

الطمع والسخاء ما يضيع الثغور، وتنتشر الأمور وتخرج الخوارج وتحدث الأسباب التي يكون فيها زوال الملك عن بنى العباس وضرب الدهر ضربته، وولى المكتفى ولم يطل عمره، ومات وولى المقتدر فكانت الصورة كما قالها المعتضد، الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، ج 11، ص 19، ابن الجوزى: المنتظم، ج 6، ص 108.

(48) هوبوسف بن يعقوب ولى قضاء البصرة واسط والجانب الشرقى من الدولة وكان حافظاً، ديناً، عفيفاً، مهيباً، توفى سنة 297م وهو والد أبى عمر القاضى، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج 2، ص 227.

(49) أورد التنوخى ما ذكره القاضى ابن عمر عن أبيه قوله: إن خادماً من وجوه خدم المعتضد قدم عليه فى حكم فارتفع فى المجلس فأمره الحاجب أن يجلس بموازاة خصمه، فلم يجلس إلا لا بعظم محله فى الدولة، فصاح به القاضى وأجبره على الجلوس، وبلغ ذلك الخليفة المعتضد فصاح بخادمه قائلاً لوباعك لأجرت بيعه، ولما رددت إلى ملكى أبداً وليس خصوصك بى يزيل مرتبة الحكم، فإنه عمود السلطان، وقوام الأديان، التنوخى: المصدر السابق، ج 1، ص 245.

(50) كان ابن بسطام قد عجز عن سداد ضمان واسط وكان قيمته 70 ألف دينار، فحبسه الوزير عبيد الله بن سليمان ثم دخل على مجلس الخليفة رجل من أهل واسط وسلم الخليفة رقعة منها ثناء على ابن بسطام تفيد بأنه كان يفرق فى أيام ولايته فى كل شهر عشرين كرا حنطة ودقيق (الكر مقياس يساوى أربعين أردباً) كان يفرقهما على حاشيته وعلى المستورين والفقراء ولم يعطلها، فقال المعتضد: قد يسرنى هذا لأن ابن بسطام رجل مشهور بعظم المروءة، وكثرة المعروف، وسأل عما بقى عليه من الدين فقال الوزير بضعة عشر ألف دينار، فقال الخليفة: أسقطها عنه ورده إلى عمله، الصابى: الوزراء، تحقيق عبد الفتاح أحمد فرج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1958م، ص 12، 49.

(51) أبو اسحق إسماعيل الأزدي القاضى من أهل البصرة ولد سنة 200 هـ / 815 م تولى القضاء فى عهد الخليفة المتوكل، وظل قاضياً حتى توفى سنة 282 هـ / 895 م، ابن الجوزى: المنتظم، ج 5، ص 151، 152.

(52) لم يكتف الخليفة بسؤال القاضى إسماعيل بن اسحق وإنما استدعى القاضى يوسف بن يعقوب وسأله عن إسماعيل بن بليل فقال أمرنى الموفق بالنفقة على موسم الحج، وتقدم إلى إسماعيل أن يعطينى المال، فكنت ألزم مجلسه، فلزمته يوماً من الغداة إلى المغرب ما رأيته صلى ولا نهض من موضعه فقلت لعله يقضيها ليلاً فببت عنده ليلة نتحدث وأنا بين يديه إلى أن نعلس ونمت بحضرتة وما رأيته خلال ذلك يصلى فقال له المعتضد انصرف فقد أخبرتنى بما أردته منك، ويذكر المسعودى أن المعتضد تغفن فى تعذيب وزيره إسماعيل بن بليل قبل إعدامه فقد جعل فى عنقه غل ورمانة حديد وزنها مائة وعشرون رطلاً وعلقه من قدمه، وجعل رأسه فى إناء ملئ بالشحم حتى مات ويرجح أنه فعل به ذلك لخروجه على الدين، المسعودى: مروج الذهب، ج 4، ص 258.

(53) روى المعتضد أن أبوه الموفق غضب عليه قبل وفاته فى أمر خالقه فيه فسجنه قال: فرأيت رؤيا حين كنت مسجوناً فاستبشرت بما رأيته فسألت شيخاً جالساً على نهر دجلة يمد يده إلى ماء دجلة فيصير فى يديه وتجف دجلة، ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت فسألت عنه فقيل لى: هذا على بن أبى طالب قال: فقامت فسلمت عليه، وقال: يا أحمد، إن هذا الأمر

صائر إليك فلا تتعرض لولدى ولا تؤذيهم فقلت: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين، ولما مرض أبوه أطلق من السجن وبعد موت الموفق، والمعتمد تولى الخلافة ولقب بالمعتضد حينئذ، بكر محمد إبراهيم: موسوعة التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية)، مركز الذاكرة للنشر والإعلام القاهرة، 2002م، ص 197.

(54) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، القاهرة، 1939م، ج 8، ص 183-189؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص 284؛ محمد ماهر حمادة: دراسة وثائقية للتاريخ الإسلامى ومصادره مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988، ص 154.

(55) قال ابن حمدون نديم المعتضد أنه غرم على عمارة البحيرة ستين ألف دينار وكان يخلو فيها مع جواريه ومنهن محبوبته ديرة، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص 284.

(56) لعب المعتضد النرد (الطاولة فى أيامنا هذه) مع نديمه ابن حمدون فغمره ابن حمدون سبعين ألف درهم، فنهض الخليفة يصلى العصر، فلما انتهى من صلاته قال لنديمه: إنى أريد أن أعطيك سبعين ألف درهم من القمار؟ قال ابن حمدون أفترضوا؟ (أى تتراجع عن التسديد) قال الخليفة نعم ضغوت قم ولا تفكر ودخل فى صلاة العصر الفرض، ولما فرغ من صلاته، قال لابن حمدون: أما القمار فقد فاتك لأنى قد ضغوت بك ولكنى أهب لك سبعين ألف درهم من مالى فلا يكون علىّ إثم فى دفعها ولا عليك إثم فى أخذها، التتوخى: نشوار المحاضرة، ج 1، ص 266، 267.

(57) وقد تزوج المعتضد قطر الندى ابنة خمارويه وأمهرها ألف ألف درهم وقد سجل لنا التاريخ وصف هذا الزواج بأنه كان يفوق الخيال من التكاليف التى تكبدها خمارويه وكان من ضمن جهازها أربعة آلاف تكة مجوهره وعشرة صناديق جوهر وبذل خمارويه الأموال الطائلة فى تجهيز ابنته وغالى فى ذلك الجهاز ولم تطل حياتها إذ توفيت بعد قليل من زواجها، ابن تبرى بردى: النجوم الزاهرة، ج 3، ص 78، على إبراهيم حسن: مصر فى العصور الوسطى، ص 72، 73.

(58) المسعودى: مروج الذهب، ج 4، ص 141-142.

(59) وفى ذلك يقول ابن المعتز:

قد أفقرت سامرا . وما لشيء دوام

فالنقص يحمل منها . كأنها أجسام

ماتت كما مات فيل . تسلم منه العظام

وكان بسامراء قبور ستة من الخلفاء هم الواثق والمتوكل والمنتصر والمعتز والمهتدى والمعتمد وبها قبر إمامين من أئمة الشيعة وهما على بن محمد والحسن بن على العسكريان، وبها السرداب الذى تزعم الشيعة أنه يخرج منه المهدي المنتظر، محمد الحضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ج 2، ص 364.

(60) يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر دمشق، 1996م، ص 168.

(61) هو على بن المعتضد بن أحمد بن المتوكل وأمه أم ولد تركية اسمها جيجك بويغ بالخلافة بعد

وفاة أبيه سنة 289 هـ / 902 م ولم يزل بالخلافة حتى وفاته 295 هـ / 908 م فكانت مدته ست سنوات وستة أشهر، و19 يوماً، المسعودى: التنبيه والإشراف، ص 337، الخضرى: المرجع السابق، ص 365.

(62) القاسم بن عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد وأخذ البيعة للمكتفى بعد وفاة أبيه واستطاع فى عهد المكتفى التخلص من منافسيه ومنهم بدر غلام المعتضد الذى أصبح قائد الجيش فى إقليم فارس عندما أرسل للقواد الذين مع بدر بفارس وأمرهم بالمسير إليه ومفارقة بدر ففعلوا ولما رأى بدر ذلك انصرف إلى واسط فلما بلغ الخليفة انصرافه استولى على داره وغلمايه وقواده وأمر بمحاسمه من الأعلام كلها، وكل ذلك كان بأغراء الوزير القاسم وتخويفه الخليفة من غدر بدر، ابن طباطبا: الفخرى، ص 258، الخضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ج 2، ص 366.

- وذلك لأن القاسم بعد موت المعتضد أراد صرف الخلافة عن المكتفى فامتنع عليه بدر فخافه القاسم وقلد المكتفى وبدأ التدبير للخلاص من بدر خوفاً أن يطلع الخليفة على ما كان عزم عليه وانتهى الأمر ببدر أن أرسل والخليفة له أحد القضاة بأمان فلما مثل بدر أمام الخليفة قتله فى رمضان 289 هـ / 902 م، ابن الجوزى: المنتظم، ج 6، ص 148.

(63) الحسين بن عمرو النصرانى تقلد ضياع الرى والإشراف على عسكر المكتفى ولاه الخليفة الرقة وأضاف إليه أعمال قنسرين والعواصم، وكان من ألمع المقربين للخليفة، الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، ج 11، ص 373-374.

(64) كان الوزير القاسم قد أوجس فى نفسه من اختصاص الحسين وعلم من ابنه أن الحسين دبر مع الخليفة إقصاؤه وتولية إبراهيم بن حمدان الشيرازى، وأن فارس (داية المكتفى) مشتركة فى التدبير فأشار عليه ابن العباس بن الفرات (أخ وزير المقتدر بعد ذلك أبى الحسن بن الفرات) أن يزور كتاب على الحسين ويسب المكتفى فيه ففعل القاسم ذلك واختلى بالمكتفى فى مجلسه وسلمه الكتاب فقبض المكتفى على الحسين واستصفى أمواله ونفاه هو وإبراهيم الشيرازى إلى الأهواز ووكل بهما، فلما وصلا الأهواز قتلها الموكلون بهما، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 3، ص 100.

(65) الحضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ج 2، ص 372.

(66) على إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامى العام، ص 438.

(67) الخضرى: المرجع السابق، ص 373.

(68) التنوخى: نشوار المحاضرة، ج 3، ص 269.

(69) الوظيفة الأساسية للقهرمانه فى إدارة بيت الخلافة وتأدية الرسائل منه إلى الوزير، إلا أن الوظيفة تشعبت فى عهد المقتدر حتى أصبحت تتدخل فى أمور الدولة لدرجة أنها كانت تحضر تعذيب الوزير المعزول ويعتقل من دارها من يريد الخليفة اعتقاله وقد زادت مهامها حتى أنها كانت تجلس للنظر فى المظالم مثل شمل القهرمانه وقد بلغت من القوة لدرجة أنها تأمرت على خلع الخليفة القاهر، مسكويه: تجارب الأمم، ج 1، ص 21، ابن الجوزى: المنتظم، ج 6، ص 148.

(70) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 298، والجدير بالذكر أن المكتفي اتبع سيرة أبيه المعتضد في جمع الأموال وجمع منها الشيء الكثير وحين توفي ترك في بيت ماله الخاص خمسة عشر مليون دينار، يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص 168.

(71) هو جعفر بن المعتضد وهو أخو المكتفي وأمه أم ولد اسمها شغب تولى بعد أخيه عام 295 هـ / 908 م وكان عمره ثلاث عشرة سنة، شهدت الدولة في أيامه أحداث جسام مثل اعتداء القرامطة على المسجد الحرام ونهبوا أموال الحجاج وقتلوه وقلعوا الحجر الأسود وذهبوا به إلى هجر مقرهم بعد أخذ كسوة الكعبة، وقسموها فيما بينهم ونهبوا دور مكة ولولا أن المهدي الفاطمي كتب لزعيمهم أبوطاهر ينكر عليه ويلومه ويلغنه وطلب منه أن يرد على أهل مكة والحجاج وغيرهم ما أخذ منهم ويرد الحجر الأسود وكسوة الكعبة ويبتزاً منه في الدنيا والآخرة فأعاد الحجر الأسود واستعاد ما أمكنه من أموال أهل مكة وقال إن أصحابه اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج كذلك زاد تدخل النساء في شئون الحكم وقد وقعت محاولتين للإطاحة به سنة 296 هـ / 909 م، 317 هـ / 929 م واشتد الخلاف بينه وبين قادته حتى أنهم اجتمعوا على قتله 320 هـ / 932 م، ابن طباطبا: الفخرى، ص 260، 264، الخضرى: المرجع السابق، ص 394.

(72) كان على بن عيسى محمد من شيوخ الكتاب، تقلد كثير من الدواوين، كان أبوه مرشحاً للوزارة في عهد المتوكل، تناوب على بن عيسى الوزارة مع ابن الحسن بن الفرات للمقتدر، وكان مشهور لعلمه وعفافه، وهو صاحب ديوان البر لإصلاح الثغور والحرمين، وهو الذي أخذ البيعة للخليفة الراضى سنة 322 هـ / 934 م وامتنع عن تولي الوزارة وإن غلب على التدبير لها، صادره الوزير أبو جعفر الكرخي سنة 324 هـ / 936 م ومات 334 هـ / 945 م أيام الدولة البويهية، الصابى: الوزراء، ص 305-306، ابن طباطبا: الفخرى، ص 267، 268.

(73) كان الوزير على بن عيسى في حديث مع بعض رجال الدولة عن المقتدر وأفعاله فاتهمه البعض بالجهل وسوء التدبير، فدافع عنه الوزير قائلاً: ما هو إلا أن يترك هذا الرجل شرب النبيذ خمسة أيام متتابعة حتى يصبح ذهنه ن خاطب بعدها رجلاً ما خاطبت أفضل منه، ولا أبصر بالرأى وأعرف بالأمور وأسد في التدبير، كان كالمعتضد والمأمون ومن شابههما من الخلفاء، وما يفسده غير متابعة الشرب، ولا يخلبه سواها، التنوخي: نشوار، ج 1، ص 282.

(74) على بن الحواري من أصدقاء المقتدر وكان صاحب مشورة، قلده حامد بن العباس الوزير عطاء العسكر لسائر نواحي المغرب، وقع في قبضة الحسن بن على بن الفرات فعذبه واتهمه بالتمار ضد المقتدر، وأخرجه إلى الأهواز وأمر بقتله، مسكويه: تجارب الأمم وعواقب الهمم، ج 1، مصر، 1912 م، ص 49، 134.

(75) نصر القشورى صاحب المقتدر وصاحب رأى إلا أنه كان معادياً للوزير ابن الفرات فتآمر على قتله توفي سنة 316 هـ أثناء خروجه لحرب القرامطة، ابن الجوزى: المنتظم، ج 6، ص 220.

(76) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 1، ص 283.

(77) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6، ص 121، 200، 221.

(78) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 1، ص 100.

(79) قال السيوطي: في سنة 305 هـ / 916 م تم عقد هدنة مع الروم، فعمل المقتدر موكباً عظيماً، فأقام العسكر وصفهم بالسلاح - وهم مائة وستون ألفاً - من باب الشماسية إلى دار الخلافة، وبعدهم الخدام وهم سبعة آلاف خادم، ويلهم الحجاب وهم سبعمائة حاجب، وكانت الستور التي نصبت على حيطان دار الخلافة ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج والبسط اثنين وعشرين ألفاً وسار رسل الإمبراطور بين صفين، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 29، حسن الباشا: دراسات في الحضارة الإسلامية، ص 134.

- وكان في جملة الزينة شجرة من ذهب وفضة تشتمل على ثمانية عشر غصناً وأوراق الشجرة من الذهب والفضة وأغصانها تتمايل وعلى الأغصان طيور وعصافير مختلفة من الذهب والفضة تصفر بحركات مرتبة وشاهدوا الرسول من العظمة ما يطول شرحه، حتى عندما انتهى الرسولان ووصلا إلى الخليفة، فأطلق لكل رسول عشرين ألف درهم صله لهما، ابن الساعي: تاريخ الخلفاء العباسيين، ص 98، مسكويه: تجارب الأمم، ج 1، ص 53-55.

(80) نقل التنوخي عن عبد الله بن جبير النصراني (كاتب الوزير ابن الفرات) يقول: سألت الوزير عقب عودته من موكب الخليفة وكان مغموماً، عن سبب غمه فقال أني أشكون نقصان هذا الرجل (يقصد الخليفة المقتدر) وشدة تلونه واختلاف رأيه في كل الأمور صغارها وكبارها، فقد عرضت عليه تقليد رجل ناحية من النواحي لاستصلاح نيته واستدامة طاعته فقال أفعل، ثم بحثت الأمر فوجدته قد يؤدي إلى طمع نظرائه في مثل تقليده فتعظم التكلفة ويكثر الفساد، فقلت للخليفة أني أرى أن نقبض عليه ونخلده الحبس قال الخليفة: أفعل ويذكر ابن الفرات أنه وقع عليه ظلم من الخليفة حينما تقدم الحاجب نصر القشوري بالطعن على ابن الفرات وأشار بقتله فقال افعلوا، واستشعر ابن الفرات هذا فكان ما قدره، التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 5، ص 69.

(81) وذلك عندما قبض على يوسف بن أبي الساج سنة 307 هـ / 918 م بعد حروب معه وأودعه السجن بناء على مشورة بعض رجال الحاشية وظل ثلاث سنوات ثم تدخل مؤنس الخادم لدى الخليفة فأخرجه من السجن وخلع عليه وولاه كل البلاد في مشرق الدولة العباسية خراجاً وحرباً وهذا يدل على أنه الخليفة لم يكن له قرار سواء في القبض عليه أو في إطلاقه، مسكويه: تجارب الأمم، ج 1، ص 83، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6، ص 176.

(82) لما انتهت الخليفة المقتدر من الشرب في هذا البستان انتهب الخدم البستان واقتلعوا النرجس من طينه وخرج من المال شيء عظيم من ثمن ذلك المسك، التنوخي: نشوار المحاضرة: ج 1، ص 295.

(83) التنوخي: المصدر السابق، ج 5، ص 48.

(84) مسكويه: تجارب الأمم، ج 1، ص 53-55.

(85) ابن الجوزي: المنتظم، ج 6، ص 156، 159.

(86) من ألمع وزراء الخليفة المقتدر ابن الفرات وعلى بن عيسى حيث كان ابن الفرات إدارياً

ممتازاً ومواسياً لخراج الدولة المالية على الرغم من أنه لم يكن نظيف الكف واليد أما على بن عيسى فعبقورية إدارية من الطراز الممتاز ويفضل على الوزير ابن الفرات لتمييزه بالغة عن أموال الدولة وأموال الناس وخوفه من الله ومحاولته استيفاء حقوق بيت المال بالطرق الشرعية دون ظلم أو إرهاب، مسكويه: تجارب الأمم، ج 1، ص 27.

(87) يذكر التنوخي عن أبي منصور القشوري أحد الخدم في دار الخلافة أن المقتدر بعدما أكل مع الملاح قال هات الحلوى فقال نحن لا نعرف الحلوى فقال المقتدر ما ظننت أن في الدنيا من يأكل طعاماً بلا حلوى بعده وأمر صاحب المائدة (كبير الخدم) أن تعمل في كل يوم سلة طعام بصرف عليها ما بين عشرة دنانير إلى مائتين درهم ويسلمها لجعفر الملاح حتى إذا ركب إليه الخليفة غفلة يجدها معدة وإن حان المغرب ولم يحضر الخليفة تكون لجعفر فظلت على هذا الحال إلى أن مات المقتدر ولم يأكل منها، وكان جعفر يأخذها وربما كان يحاسب على ثمنها ويأخذها درهم، التنوخي: نشوار، ج 3، ص 189-190.

(88) أورد مسكويه أن المقتدر أنفق أكثر من سبعين مليون دينار سوى ما أنفق في موضعه وأخرجه في وجوهه، وهذا أكثر مما جمعه الرشيد وخلفه، ولم يكن من ولد العباس من جمع أكثر من الرشيد وقدم قائمة مفصلة لما دخل بيت المال من الأموال سواء من الأمصار أو المصادرات التي أجراها الخليفة على موظفي الدولة ولبعض التجار، وقد بلغ نحو تسعين مليون دينار لم ينفق منها في موضعه سوى سبعة عشر مليون دينار وأنفق الباقي، مسكويه: تجارب الأمم، ج 1، ص 238-241، ويذكر عن المقتدر أنه طلب عدد من الجواهر واختار منها مائة حبة ونظمها سبحة يسبح بها وعرضه على الجوهريين فقوموا كل حبة بألف دينار وأكثر ويقال أن ثمن السبحة ضعف الدخل الذي كان يحصل عليه الوزير في كل عام وأنها نهبت بعد موته ولعل من أخذها لا يدرى قيمتها، التنوخي: نشوار، ج 7، ص 266.

(89) الغلمان: جماعة من الجنود المرتزقة عملوا بداية أمرهم تحت إشراف بعض القادة وسموا بأسمائهم مثل الغلمان المؤنسية نسبة إلى مؤنس القائد، والبلقية نسبة إلى بليق الحاجب والغلمان الحجرية نسبة إلى قبيلة حجر المشهورة من الأزد، وكانوا يشكلون حرس الخليفة الخاص، وزاد نفوذهم بشكل ملحوظ في عهد الخليفة المقتدر، وكان الغلمان الساجية أبرز الغلمان الذين ظهروا في عهد المقتدر أتباع القائد يوسف بن أبي الساج فقد سيطروا على دار الخلافة ووجهوا سياسة الدولة فترة من الزمن، القرطبي: الصلة، ص 77، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 1، ص 255.

(90) بيت مال العامة: هو المكان الذي تحفظ فيه الأموال الواردة من الأقاليم للإنفاق منها على المصالح العامة.

(91) بيت مال الخاصة هو المكان الذي تحفظ فيه الأموال الواردة من أملاك الخليفة وأسرته وحاشيته.

(92) ذكر التنوخي على لسان القاضي أبي طالب بن بهلول قاضي مدينة بغداد سنة 316 هـ / 927 م أن الخليفة المقتدر استدعاه وحده في بعض أيام المواكب وشهد اللقاء الوزير على بن مقله في المجلس الخاص فقال المقتدر للقاضي قد ترى تكالب غلماني هؤلاء على مطالبتهم إياي بالأموال ولوفقدوني لمتنوا أيامي، وقد عزمت على بيع ضياعي وديات بالأهواز، وأمره أن يكتب إلى نائبه على قضاء الأهواز أبي قاسم على بن محمد، وتم بيع

الضياع فى عهد الوزير سليمان بن الحسن الذى خلف الوزير على بن مقله، التتوخى: نشوار المحاضرة، ج 1، ص 284-286.

(93) لجأ بعض رجال الدولة إلى دفن أموالهم حتى لا تقع فى أيدي المصادرين عند عزلهم، ولم يلجئوا إلى شراء الضياع وضعف الشعور بالملكية الخاصة، وأمثال ذلك الوزير حامد بن العباس الذى أخفى أمواله عن غلمانه وحاشيته كما كان يتولى بنفسه دفن الأموال فى البلاليع التى احتقرها لهذا الغرض، واستخرج منها يوم مصادرتة على يد الوزير أبى الحسن بن الفرات سنة 311 هـ / 922 م ما يقرب من نصف مليون دينار، مسكويه: تجارب الأمم، ج 1، ص 103.

(94) الدورى: التاريخ الاقتصادى للعراق فى القرن الرابع الهجرى، بيروت، 1969م، ص 249.

(95) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، ج 3، ص 22-23، يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص 173-174.

(96) يذكر على بن هارون المنجم نديم المقتدر أن ابن عمه أبى القاسم يوسف المنجم كانت له داية تسمى نظم خدمت السيدة أم الخليفة المقتدر حتى صارت أحد قهارمها مكنت لأبى القاسم من دار الخلافة حتى أصبح من أصحاب عشرات الألوف من الدنانير وخلطته بخدمة السيدة، فعزم على ختان ابنه فأهدته السيدة أم الخليفة أموالاً عظيمة وفرس وأوانى وثياب حتى أنه استعار فى ذلك اليوم جميع الموظفين الذين يعملون فى مطبخ الخليفة وكان رزقهم فى اليوم الواحد ألف وخمسمائة دينار واقتصر الخليفة فى ذلك اليوم على أكل السمك فاشتري له سمك بثلاثمائة دينار، التتوخى: نشوار، ج 4، ص 145-149.

(97) لم يقتصر الإسراف على الخليفة، وإنما نافسته فى الإسراف والدته فقد أسرفت فى الإنفاق فى مناسبات طارئة كالأعياد وغيرها، وقد بلغت من التمتع منزلة لا تبارى ولعبت بأموال الدولة ومنها أن نعالها كانت تصنع من الديباج المطلى بالمسك والعنبر المذاب والمجمد من عدة طبقات وكانت السيدة لا تلبس النعل إلا عشرة أيام ويرمى وتذهب جملة دنانير فى ثمنها، التتوخى: نشوار، ج 1، ص 293، 294.

(98) عندما عجز عن الوفاء بمطالبهم ذبحوه وسلبوا ملابسه وتركوه فى العراء إلى أن مر رجل من العامة ستر جثته بالخيش، ودفنه وعفى قبره، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج 6، ص 220-221.

(99) الراضى بالله: أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد أمه أم ولد رومية اسمها ظلوم بويح له يوم خلع القاهر سنة 322 هـ / 933 م ولم يزل خليفة إلى أن توفى سنة 329 هـ / 940 م وكانت مدة خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، ابن طباطبا: الفخرى، ص 28، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص 298.

(100) اضطر الراضى إلى استقدام محمد بن رائق من واسط لتولى إمرة الأمراء بعد أن عظم أمر الغلمان وأصبحوا يشكلون خطراً على الخليفة وقلت الأموال لذا تمكن ابن رائق من الخلافة وأصبح الرجل الأول فى الدولة وارضى الراضى لنفسه بالمركز الثانى، الذهبي: العبر فى خبر من غير، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ص 21.

(101) ورد ذلك على لسان أبي جعفر بن حمدون أحد ندماء الراضى يصف مجلساً خاصاً من مجالس الخليفة فيقول كنا نشرب مع الراضى يوماً فى مجلس مغمضى بالفاكهة (مغطى بها) فمل منه وضجر وقال لخدمه افرشوا لنا المجلس القلائى واطرحوا فيه ريحاناً وينلوفر (نوع من أغلى أنواع المسك) طرحة فوق الحصر بلا أطباق ولا تعبئة كما تفعل العامة، وعجلوا ذلك الساعة، فلم تكن إلا لحظة حتى قالوا له قد فرغنا، فلما دخل المجلس لم يعجبه لون الريحان فأمر أن يسحق الكافور ويوضع فوقه، فأقبلوا بصوانى الذهب فيها الكافور الريحانى المسحوق أرتالاً ويطرح فوقه الريحان وعليه ندف من القطن الرقيق، وقال ابن حمدون قدرت ما استعمل من الكافور كان أكثر من ألف مثقال بشيء كثير فشرب عليه الخليفة وندمائه ولما قاموا نهبه الخدم، التتوخى: نشوار، ج 1، ص 296.

(102) المسعودى: مروج الذهب، ج 4، ص 380.

(103) بجكم التركى كان عاملاً على الأهواز من قبل ابن رائق ثم انتقل إلى واسط واستغل ضعف ابن رائق ودخل بغداد وتولى إمرة الأمراء سنة 326 هـ / 937 م واعترف به الخليفة الراضى الذى لم يكن يملك سوى الاعتراف بأقوى القادة شاء أم لم يشأ، ويذكر أن بجكم أصدر عمله عليها صورته من جهة ومن الجهة المقابلة كتب:

إنما العز فاعلم .: للأمير المعظم سيد الناس بجكم

- المسعودى: المصدر السابق، ص 381، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج 6، ص 226.

(104) من شعر الراضى:

أين من كان قبلنا .: ذهب الشخص والأثر

رب اغفر خطيئتي .: أنت يا خير من غفر

- ابن الجوزى: المنتظم، ج 6، ص 324.

(105) يذكر التتوخى أنه لما توفى قاضى القضاة أبا الحسين عمر محمد بن يوسف سنة 328 هـ / 939 م حزن الراضى حزناً شديداً عليه وقال: كنت أضيق بالشئ ذرعاً فيوسعه على، وكان يقول فى بكائه لا يقيت بعده، التتوخى: نشوار، ج 4، ص 210.

(106) ابن طباطبا: الفخرى، ص 261؛ الخضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ج 2، ص 411؛ على إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامى العام، ص 446.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم

2- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، دار الكتاب العربى بيروت، 1967م.

3- ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، 1948م

4- التنوخى: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، 8 أجزاء، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر بيروت، 1971م.

5- الجاحظ: التاج فى أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكى باشا، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1942م.

6- ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، دار المعارف العثمانية، حيدر اباد، 1357هـ.

7- الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج 1، ج 2، الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

8- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بولاق، 1283هـ.

9- الذهبى: العبر فى خبر من غبر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

10- الزركلى: الأعلام، مطبعة كوستا، بيروت، د.ت.

11- ابن الساعى: تاريخ الخلفاء العباسيين، القاهرة، 1993م.

12- ابن الساعى: نساء الخلفاء، دار المعارف بمصر، 1993م.

13- السيوطى: تاريخ الخلفاء، دار المنار بالقاهرة، 2003م.

14- الصابى: تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الفتاح أحمد فرج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1958م.

15- ابن طباطبا: الفخرى فى الآداب السلطانية، مطبعة دار صادر، بيروت، د.ت.

16- الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، مصر، 1979م.

17- ابن العمرانى: الأنباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق د. قاسم السامرائى، لندن، 1973م.

18- أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، القاهرة، 1315 هـ.

19- قدامة بن جعفر: الخراج، لندن، 1889م.

20- القرطبى: الصلة، دار الفكر العربى للطباعة والنشر بمصر، 1979م.

21- المسعودى: التنبيه والإشراف، دار مكتبة الهلال ببيروت، 1938 م.

22- المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح د. فقيه محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، 1966م.

- 23- مسكويه: تجارب الأمم وعواقب الهمم، مصر، 1912م.
- 24- ابن المعتز: طبقات الشعراء، دار المعارف، مصر، د.ت.
- 25- ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1978م.
- 26- ياقوت الحموي: معجم الأديباء، مصر، 1928م.
- 27- ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصر، 1928م.
- 28- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، بيروت، 1960م.
- 29- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 2، القاهرة، 1948م.
- 30- حسن الباشا: دراسات في الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1988م.
- 31- عبد العزيز الدوري: التاريخ الاقتصادي للعراق في القرن الرابع الهجري، بيروت، 1969م.
- 32- علي إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام العام، النهضة العربية، 1971م.
- 33- علي إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى، النهضة المصرية، القاهرة، 1951م.
- 34- ماهر حمادة: دراسة وثائقية للتاريخ الإسلامي ومصادره، مؤسسة الرسالة بيروت، 1988م.
- 35- محمد إبراهيم: موسوعة التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية)، مركز اليا للشر والإعلام، القاهرة، 2002م.
- 36- الشيخ محمد الخضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ج 2، دار القلم ببيروت، 1986م.
- 37- يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية: دار الفكر، دمشق، 1996م.

